g



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٨ - ٤٣٠

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara rda

رقم تصنيف LC: **DS38.5 .T84 2018**

المؤلف الشخصي: الطفيلي، حسين علي. مؤلف

العنوان: واقعة الحرة ... صراع المصالح والثوابت /

بيان المسؤولية: تأليف حسين علي الطفيلي.

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية ١٤٣٩هـ= ٢٠١٨م

الوصف المادي: [١٥٦] صفحة

سلسلة النشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

تبصرة ببليوجرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر الصفحات (١٥٠-١٥٣).

موضوع شخصي : يزيد بن معاوية بن ابي سفيان، ٢٥-٦٤ للهجرة.

موضوع شخصي : الحسين بن علي الشهيد (عليه السلام)، الامام الثالث، ٤-٦١ للهجرة - واقعة كربلاء، ٦١ للهجرة - شبهات وردود.

مصطلح موضوعي : الحسين بن علي الشهيد (عليه السلام)، الامام الثالث، ٤-٦١ للهجرة - استشهاد.

مصطلح موضوعي : واقعة الحرة، ٦٣ للهجرة - دراسة وتحقيق.

مصطلح موضوعي جغرافي: التاريخ الاسلامي - العصر الاموي، ٤١-١٣٢ للهجرة

اسم هيئة اضافي : المدينة المنورة - تاريخ

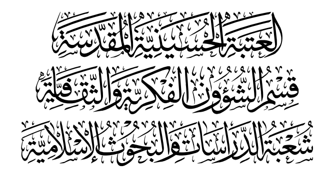
تبصرة ببليوجرافية: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



تأليف

حسين علي الطفيلي



طُبِعَ برعاية

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

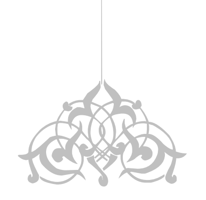


العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المبعوث رحمة للعالمين وعلى أهل بيته الميامين، وبعد:

عندما كنا على مقاعد الدرس، كانت مادة التاريخ بالنسبة لنا واحدة من الحواجز التي ينبغي علينا اجتيازها لكي نحقق النجاح، فكنا نقرأ لننجح، ولا يهم ماذا نقرأ، وهل ما نقرأه حقيقة أم زيف؟ فكان التاريخ الإسلامي يدرس لنا مقسماً على شكل حقب زمنية، بدءاً بعصر الرسالة ثم عصر الخلافة وبعدها عصر الدولة الأُموية تتبعها العباسية ثم يتلو ذلك عصور الانحطاط والتردي.

وكانت الشخصيات التاريخية تعرض لنا على أنّها رموز تاريخية مقدسة ينبغي تمجيدها والتغني بإنجازاتها التي بنت مجد هذه الأُمة التي أُفهِمنا أنَّها خير أُمة أُخرجت للناس كما يخبرنا القرآن الكريم في بعض

آياته الشريفة: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }[١].

فمعاوية بن أبي سفيان، الصحابي الجليل وخال المؤمنين وأمير المؤمنين ومؤسس الدولة الأُموية، الملقب بكسرى العرب، لقبه بذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كما يذكر المؤرخون[٢] وصاحب الفتوحات الكبيرة التي نقلت الإسلام إلى الهند وإفريقيا، وابنه يزيد الذي فتح القسطنطينية، وعبد الملك بن مروان وولده الذين حكموا الأُمة الإسلامية خلفاء لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وبعد إكمال الدراسة والحصول على الشهادة، وقع في نفسي شخصياً حب مطالعة كتب التاريخ والبحث في الأحداث التاريخية التي مرت بها الأُمة الإسلامية والتحقق من دقة نقلها، وكذلك طبيعة التطور السياسي للحكم في الفترات المختلفة، وكان أن بدت أمامي الحقائق غير ما كنت أقرأ في المناهج، وغير ما يقال لنا عن الأبطال المزعومين وأنّ الأُمة حُكِمت بعد الخلافة الراشدة من قبل حفنة من القتلة والسفاحين أراقوا دماء الآلاف من المسلمين بكل برود، ثم يأتي من يروج لهذا وذاك

(١) آل عمران ١١٠

(٢) أسد الغابة ج٣ص٢٧، تاريخ الإسلام للذهبي ج٢ص٤٧، البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص١٣٤.

منهم بأنّه من أهل الجنة، ويصنع له المناقب الوهمية والأمجاد الكاذبة، ويخرجه من جرائمه مبرئاً نظيف اليد.

لكني لاحظت أنَّ في هذا التاريخ الممتد على مدى مئات السنين تبرز فيه فترة زمنية قاتمة السواد تلاحقت الأحداث الجسام فيها بشكل، يقف المتتبع فيه مذهولاً أمام ما يرى من انتكاس وتقهقر تتعرض له هذه الأُمة التي حملت رسالة التوحيد إلى العالم أجمع وكأنّ نبي الإسلام لم يبعث لهذه الأُمة، وكأنّ مكارم الأخلاق التي بعث ليتممها ليس للأُمة منها نصيب.

ولقد تركت هذه الفترة في قلبي جرحاً لا أرى أنّه سيبرأ أبداً. ولكي يشاركني كل مهتم بالحقيقة وباحث عنها بين ركام الأكاذيب والدعايات الانتخابية والصور البراقة المزيفة، حيث تمر في هذه الفترة أسوأ وأبشع ثلاث جرائم ارتكبتها أيدي السراق الذين يسرقون ثمار الثورات الكبرى وجهود المصلحين عادة، أول هذه الجرائم قتل سيد شباب أهل الجنة الحسين بن عليٍّ عليهما السلام مع أهل بيته وأصحابه في كربلاء وقطع رؤوسهم وحملها إلى الشام مع بنات الرسالة سبايا، ثم قتال أهل المدينة في الحرة وقتل بقية الصحابة والقراء والتابعين وأبناء الأنصار والمهاجرين مع عشرة آلاف من عامة الناس ثم إباحة المدينة

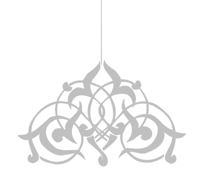
ثلاثة أيام للنهب والسلب وهتك الأعراض والمقدسات بما لم يفعله جنود الاحتلالات الأجنبية للبلاد العربية من هولاكو وتيمورلنك وحتى بوش أثناء الاحتلال الأمريكي للعراق، ثم بعد ذلك حصار مكة ورمي الكعبة بالمنجنيق وحرق أستارها.

ولذلك كانت فكرة إعداد هذه الدراسة التي تعالج أحداث هذه الفترة الزمنية، وسيكون التركيز على واقعة الحرة أكثر لقلة ما يشار إليها من قبل الدراسات التاريخية. وقد اعتمدت أُمهات المصادر الموثوقة لدى المسلمين، مع التنويه إلى أنّ الإشارة إلى المصادر بالجزء والصفحة اعتماداً على الموسوعات الكومبيوترية التي قد لا تطابق الترقيم الفعلي وخاصة "المكتبة الشاملة" في الموقع التالي:

"http://www.waqfeya.net/shamela"

فإنّي أضع نتيجة بحثي لأسوأ سنوات مرّ بها التاريخ الإسلامي، الذي سميته" واقعة الحرة.... صراع المصالح والثوابت " بين يدي القارئ الكريم. مبتغياً بهذا الجهد المتواضع والبضاعة المزجاة وجه الله تبارك وتعالى، وقاصداً النفع للمؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. والله المسدد للصواب.

حسين علي الطفيلي - ٢٤ صفر ١٤٣٢هـ



تمهيد: سنوات الانحراف السوداء وحافة الهاوية

إنّ الفترة الزمنية التي نحن بصدد دراسة أحداثها محصورة بالسنوات التي استحوذ فيها يزيد بن معاوية الفاسق على الحكم في الشام بعد موت أبيه سنة ستين للهجرة حتى هلك سنة أربع وستين للهجرة (لعنة الله عليه). ولذا قال أحمد بن حنبل، حين سأله ابنه عن لعن يزيد. فقال: إنّ الله تعالى يقول: { فَهَل عَسَيتُم إِن تَوَليتم أَن تفسِدُوا في الأَرض وَتُقَطعُوا أَرحَامَكُم أُولَئكَ الَذِينَ لعَنهُمُ اللَهُ... } الآية " محمد: ٢٢ - ٢٣ " وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد يا بني[1]. وهذه الحقبة هي أسوأ فترات التاريخ الإسلامي وأكثرها دموية، لم يبق للإسلام فيها عين ولا أثر، أزهقت الأنفس المحترمة.

واستهين بالمقدسات وسبيت النساء وهتكت الأعراض وهدمت

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج٢ ص٩٦.

الدور ومورس ضد ما يمكن تسميتهم المعارضين إرهاب الدولة بأبشع صوره، وبدلت أحكام الشريعة وكاد الناس يرتدون عن دينهم لولا لطف الله جل وعلا، والدماء الزكية التي ضحى بها من دفعتهم الغيرة على الدين إلى الوقوف بوجه يزيد وجلاوزته الذين أغراهم بالأموال وتوعدهم بالعقاب فباعوا آخرهم بدنيا يزيد فلم ينالوا إلا خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وإنّي أعتقد جازماً بأنّه لولا تضحيات السلف الصالح من أهل بيت النبوة والصحابة والتابعين والقراء، وإنكارهم أفعال يزيد الفجور والرذيلة(١) لما تسنى للمسلم في الأزمان التي تلت ذلك التمييز بين العادل والجائر من الحكام ولصارت المقولة المتداولة عند بعضهم: (صلوا خلف كل بر وفاجر وصلوا على كل بر وفاجر وجاهدوا مع كل بر وفاجر). ورووا أيضاً: (أطيعوا أمراءكم مهما كان فإن أمروكم بشيء مما جئتكم به فإنّهم يؤجرون عليه وتؤجرون بطاعتهم، وإن أمروكم بشيء مما لم آتكم به فإنّه عليهم وأنتم منه براء ذلك بأنّكم إذا لقيتم الله قلتم ربنا لا ظلم، فيقول: لا ظلم، فيقولون: ربنا أرسلت إلينا رسلاً فأطعناهم

(١) نفس المصدر السابق، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٨٥ – ٨٦، الآداب السلطانية لابن الطقطقي ج١ ص٤١

بإذنك واستخلفت علينا خلفاء فأطعناهم بإذنك، وأمرت علينا أمراء فأطعناهم لك فيقول: صدقتم هو عليهم وأنتم منه براء)[١] من

(١) كنز العمال ج٦ص٥٤. وفي كتب الحديث الكثير من الروايات التي تكبل الشعوب المقهورة وتحرم على الأمة الخروج على الحاكم الظالم لحماية أمثال يزيد ومعاوية وأضرابهم من ثورات الجياع والمقهورين وإليك بعض هذه الروايات:

١- أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه ج٧ص٧٣٧. والبيهقي في السنن الكبرى ج٨ ص١٥٩ قال:حدثنا وكيع قال ثنا سفيان عن إبراهيم بن عبد الأعلى عن سويد ابن غفلة قال: قال لي عمر: يا أبا أُمية! إنّي لا أدري لعلي أن لا ألقاك بعد عامي هذا، فاسمع وأطع وإن أُمر عليك عبد حبشي مجدع، إن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن أراد أمراً ينتقص دينك فقل: سمع وطاعة، ودمي دون ديني، فلا تفارق الجماعة.

٢- وفي الشريعة للآجري ج١ص٨١: حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثني جدي قال: حدثنا موسى بن أعين، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة قال: قال لي عمر بن الخطاب: " لعلك أن تخلف بعدي، فأطع الإمام، وإن كان عبداً حبشياً وإن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن دعاك إلى أمر منقصة في دنياك فقل: سمعاً وطاعة، دمي دون ديني".

٣ - وفي الشريعة للآجري أيضاً ج١ص٨٢: وأخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد الحنائي قال: حدثنا محمد بن عبيد بن حساب قال: حدثنا حماد بن زيد قال: حدثنا ليث، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة قال: قال لي عمر ابن الخطاب: «لا أدري لعلك أن تخلف بعدي فأطع الإمام، وإن أُمر عليك عبد حبشي مجدع، وإن ظلمك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن دعاك إلى أمر ←

محكمات الشريعة الإسلامية التي ليس لأحد نقضها أو الشك فيها.

ولصار يزيد من رجال التاريخ الأفذاذ الذين رفعوا لواء الإسلام ووطدوا أركان الدولة الإسلامية التي وصلت إلى أقاصي الأرض فيما بعد، ولما صارت الأصوات الممجدة له من هذه الفئة التي تدعي اتباع السلف والتي تدعى الوهابية، شاذة ومناقضة لما نقله جمهور المؤرخين.

فبدأً بثورة سبط المصطفى صلى الله عليه وآله والدماء الزواكي

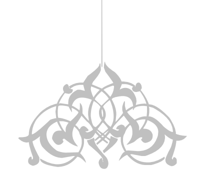
ينقصك في دنياك فقل: سمعاً وطاعة، دمي دون ديني» قال محمد بن الحسين: فإن قال قائل: إيش الذي يحتمل عندك قول عمر فيما قاله؟ قيل له: يحتمل والله أعلم أن نقول: من أمر عليك من عربي أو غيره أسود أو أبيض أو عجمي فأطعه فيما ليس لله فيه معصية، وإن حرمك حقاً لك، أو ضربك ظلماً لك، أو انتهك عرضك، أو أخذ مالك، فلا يحملك ذلك على أن تخرج عليه بسيفك حتى تقاتله، ولا تخرج مع خارجي يقاتله، ولا تحرض غيرك على الخروج عليه، ولكن اصبر عليه وقد يحتمل أن يدعوك إلى منقصة في دينك من غير هذه الجهة يحتمل أن يأمرك بقتل من لا يستحق القتل، أو بقطع عضو من لا يستحق ذلك، أو بضرب من لا يحل ضربه، أو بأخذ مال من لا يستحق أن تأخذ ماله، أو بظلم من لا يحل له ولا لك ظلمه، فلا يسعك أن تطيعه، فإن قال لك: لئن لم تفعل ما آمرك به وإلا قتلتك أو ضربتك، فقل: دمي دون ديني؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل» ولقوله صلى الله عليه وآله «إنّما الطاعة في المعروف».

التي سالت على أرض كربلاء وما تلاها من فضح لحقيقة يزيد وانحرافاته على يد زينب بنت عليٍّ عليهما السلام وبقية مخدرات الرسالة حينما أوضحن حقيقة ما حصل وكشفن وجه يزيد القبيح، ومروراً بواقعة الحرة الفظيعة و(الفضيحة) وانتفاضة أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وآله بوجه المجون الأُموي الذي وصل ذروته بنزوات يزيد بن معاوية، وإعلانهم خلع بيعته، وإرساله أحد السفاحين المتعطشين إلى دماء المسلمين، فكانت مجزرة الحرة، ثم اختتامه لسلسلة إنجازاته التي بها ختم الله حياته، محاصرته للبيت الحرام ورميه بالمنجنيقات وإحراقه لأستار الكعبة، كلها شواهد على أنَّ يزيد بن معاوية بكل ما يعنيه من إرهاصات، وصمة عار في جبين التاريخ الإسلامي، إذا كان هناك ما يمكن تسميته بالإسلامي منه.



الفصل الأول

بيعة يزيد.. ونهضة الحسين.. صراع الأضداد



الطريق إلى السلطة

لسائل أن يسأل: كيف وصل يزيد بن معاوية إلى السلطة؟ وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي الرجوع إلى حقبة حكم أبيه معاوية بن أبي سفيان، الذي حاول تمهيد الأُمور وتعبيد الطريق لولده يزيد بأخذ البيعة له من أهل الحل والعقد أو القادة الجماهيريين بلغة هذا العصر سنة ست وخمسين من الهجرة النبوية، حيث ذكر ابن الأثير في تاريخه[1] ذلك قائلاً: (وفي هذه السنة بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه. وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبة، فإنّ معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك فقال: الرأي أن أشخص إلى معاوية فأستعفيه ليظهر للناس كراهتي للولاية. فسار إلى معاوية وقال لأصحابه حين وصل إليه: إن لم أكسبكم الآن ولاية وإمارة

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص ١٤٠ وما بعدها، المنتظم لابن الجوزي ج٢ ص ١٧٦، تاريخ الطبري ج٣ ص٢١٣ وما بعدها.

لا أفعل ذلك أبداً. ومضى حتى دخل على يزيد وقال له: إنّه قد ذهب أعيان أصحاب النبي، صلى الله عليه وآله، وآله وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنّما بقي أبناؤهم وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنة والسياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة. قال: أوترى ذلك يتم؟ قال: نعم.

فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة، فأحضر المغيرة وقال له ما يقول يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف، فاعقد له فإن حدث بك حادثٌ كان كهفاً للناس وخلفاً منك ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة. قال: ومن لي بهذا؟ قال: أكفيك أهل الكوفة ويكفيك زيادٌ أهل البصرة وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك.

قال: فارجع إلى عملك وتحدث مع من تثق إليه في ذلك وترى ونرى. فودعه ورجع إلى أصحابه.

فقالوا: مه؟ قال: لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أُمة محمد وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً[(١)]؛ وتمثل:

بمثلي شاهدي النجوى وغالي   بي الأعداء والخصم الغضابا

---

(١) المغيرة بن شعبة هذا صحابي! فانظر معي إلى قوله تعرف ما يضمر.

وسار المغيرة حتى قدم الكوفة وذاكر من يثق إليه ومن يعلم أنّه شيعة لبني أُمية أمر يزيد، فأجابوا إلى بيعته، فأوفد منهم عشرة، ويقال أكثر من عشرة، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وجعل عليهم ابنه موسى ابن المغيرة، وقدموا على معاوية فزينوا له بيعة يزيد ودعوه إلى عقدها. فقال معاوية: لا تعجلوا بإظهار هذا وكونوا على رأيكم. ثم قال لموسى: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بثلاثين ألفاً. قال: لقد هان عليهم دينهم[١].

وقيل: أرسل أربعين رجلاً وجعل عليهم ابنه عروة، فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا: إنّما أشخصهم إليه النظر لأُمة محمد، صلى الله عليه وآله، وقالوا: يا أمير المؤمنين كبرت سنك وخفنا انتشار الحبل فانصب لنا علماً، وحد لنا حداً ننتهي إليه. فقال: أشيروا علَيَّ. فقالوا: نشير بيزيد ابن أمير المؤمنين. فقال: أوقد رضيتموه؟ قالوا: نعم. قال: وذلك رأيكم؟ قالوا: نعم، ورأي من وراءنا. فقال معاوية لعروة سراً عنهم. بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بأربعمائة دينار. قال: لقد وجد دينهم عندهم رخيصاً. وقال لهم: ننظر ما قدمتم له

(١) من الواضح أنّ معاوية لا يشك في بطلان بيعة ولده يزيد وهذا رد على من يتشدق بالقول إنّ بيعة يزيد شرعية ولا يجوز الخروج عليه.

ويقضي الله ما أراد، والأناة خير من العجلة. فرجعوا.

وقوي عزم معاوية على البيعة ليزيد، فأرسل إلى زياد يستشيره، فأحضر زياد عبيد بن كعب النميري وقال له: إنّ لكل مستشير ثقة، ولكل سر مستودع، وإنّ الناس قد أبدع بهم خصلتان: إذاعة السر وإخراج النصيحة إلى غير أهلها، وليس موضع السر إلا أحد رجلين: رجل آخرة يرجو ثوابها، ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه، وقد خبرتهما منك، وقد دعوتك لأمرٍ اتهمت عليه بطون الصحف، إنّ أمير المؤمنين كتب يستشيرني في كذا وكذا، وإنّه يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم، وعلاقة أمر الإسلام وضمانه عظيم، ويزيد صاحب رسلة وتهاون مع ما قد أولع به من الصيد، فألق أمير المؤمنين وأد إليه فعلات يزيد وقل له رويدك بالأمر، فأحرى أن يتم لك ما تريد، لا تعجل فإنّ دركاً في تأخير خيرٌ من فوت في عجلة.

فقال له عبيد: أفلا غير هذا؟ قال: وما هو؟ قال: لا تفسد على معاوية رأيه، ولا تبغض إليه ابنه، وألقى أنا يزيد فأخبره أنّ أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في البيعة له، وأنّك تتخوف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونها عليه، وأنّك ترى له ما ينقم عليه لتستحكم له الحجة على الناس ويتم ما تريد فتكون قد نصحت أمير المؤمنين وسلمت مما

تخاف من أمر الأُمة. فقال زياد: لقد رميت الأمر بحجره، اشخص على بركة الله، فإن أصبت فما لا ينكر، وإن يكن خطأ فغير مستغش، وتقول بما ترى، ويقضي الله بغيب ما يعلم.

فقدم على يزيد فذكر ذلك له، فكف عن كثير مما كان يصنع[١]، وكتب زياد معه إلى معاوية يشير بالتؤدة وأن لا يعجل، فقبل منه. فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد، فأرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم، فقبلها، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر: هذا أراد أن ديني عندي إذن لرخيص. وامتنع.

(١) وفعلا فقد كف يزيد عن كل مايرضي الله وأوغل في كل ما يسخط الله وسيرته شاهد عليه



أخذ البيعة ليزيد

ثم كتب معاوية بعد ذلك إلى مروان بن الحكم: إنّي قد كبرت سني، ودق عظمي، وخشيت الاختلاف على الأُمة بعدي، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدي، وكرهت أن أقطع أمراً دون مشورة من عندك، فاعرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردون عليك. فقام مروان في الناس فأخبرهم به، فقال الناس: أصاب ووفق، وقد أحببنا أن يتخير لنا فلا يألو.

فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فأعاد إليه الجواب يذكر يزيد، فقام مروان فيهم وقال: إنّ أمير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده.

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر فقال: كذبت والله يا مروان وكذب معاوية! ما الخيار أردتما لأُمة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية

كلما مات هرقل قام هرقل. فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه: { وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا } الأحقاف: ١٧ الآية.

فسمعت عائشة مقالته فقامت من وراء الحجاب وقالت: يا مروان يا مروان! فأنصت الناس وأقبل مروان بوجهه. فقالت: أنت القائل لعبد الرحمن إنّه نزل فيه القرآن؟ كذبت! والله ما هو به ولكنه فلان بن فلان، ولكنك أنت فضضٌ من لعنة نبي الله.

وقام الحسين بن عليٍّ فأنكر ذلك، وفعل مثله ابن عمر وابن الزبير، فكتب مروان بذلك إلى معاوية، وكان معاوية قد كتب إلى عماله بتقريظ يزيد ووصفه وأن يوفدوا إليه الوفود من الأمصار، فكان فيمن أتاه محمد بن عمرو بن حزم من المدينة، والأحنف بن قيس في وفد أهل البصرة، فقال محمد بن عمرو لمعاوية: إنّ كل راعٍ مسؤول عن رعيته، فانظر من تولي أمر أُمة محمد. فأخذ معاوية بهرٌ حتى جعل يتنفس في يوم شاتٍ ثم وصله وصرفه، وأمر الأحنف أن يدخل على يزيد، فدخل عليه، فلما خرج من عنده قال له: كيف رأيت ابن أخيك؟ قال: رأيت شباباً ونشاطاً وجلداً ومزاحاً.

ثم إنّ معاوية قال للضحاك بن قيس الفهري، لما اجتمع الوفود عنده: إنّي متكلم فإذا سكت فكن أنت الذي تدعو إلى بيعة يزيد وتحثني

عليها. فلما جلس معاوية للناس تكلم فعظم أمر الإسلام وحرمة الخلافة وحقها وما أمر الله به من طاعة ولاة الأمر، ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض ببيعته، فعارضه الضحاك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين إنّه لابد للناس من والٍ بعدك، وقد بلونا الجماعة والألفة فوجدناهما أحقن للدماء، وأصلح للدهماء، وآمن للسبل، وخيراً في العاقبة، والأيام عوج رواجع، والله كل يوم في شأن، ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه وقصد سيرته على ما علمت، وهو من أفضلنا علماً وحلماً، وأبعدنا رأياً، فوله عهدك واجعله لنا علماً بعدك ومفزعاً نلجأ إليه ونسكن في ظله.

وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق بنحو من ذلك. ثم قام يزيد بن المقنع العذري فقال: هذا أمير المؤمنين، وأشار إلى معاوية، فإن هلك فهذا، وأشار إلى يزيد، ومن أبى فهذا، وأشار إلى سيفه. فقال معاوية: اجلس فأنت سيد الخطباء. وتكلم من حضر من الوفود.

فقال معاوية للأحنف: ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا، وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله تعالى وللأُمة رضا فلا تشاور فيه، وإن كنت تعلم فيه غير ذلك فلا تزوده الدنيا

وأنت صائر إلى الآخرة، وإنّما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا. وقام رجل من أهل الشام فقال: ما ندري ما تقول هذه المعدية العراقية وإنّما عندنا سمع وطاعة وضرب وازدلاف.

فتفرق الناس يحكون قول الأحنف، وكان معاوية يعطي المقارب ويداري المباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس وبايعه. فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز في ألف فارس، فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي أول الناس، فلما نظر إليه قال: لا مرحباً ولا أهلاً! بدنة يترقرق دمها والله مهريقه! قال: مهلاً فإنّي والله لست بأهل لهذه المقالة! قال: بلى ولشر منها. ولقيه ابن الزبير فقال: لا مرحباً ولا أهلاً! خب ضب تلعة، يدخل رأسه ويضرب بذنبه ويوشك والله أن يؤخذ بذنبه ويدق ظهره، نحياه عني، فضرب وجه راحلته. ثم لقيه عبد الرحمن ابن أبي بكر، فقال له معاوية: لا أهلاً ولا مرحباً! شيخ قد خرف وذهب عقله؛ ثم أمر فضرب وجه راحلته، ثم فعل بابن عمر نحو ذلك، فأقبلوا معه لا يلتفت إليهم حتى دخل المدينة، فحضروا بابه، فلم يؤذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبون، فخرجوا إلى مكة فأقاموا بها، وخطب معاوية بالمدينة فذكر يزيد فمدحه وقال: من أحق منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه؟ وما أظن قوماً بمنتهين حتى تصيبهم بواثق

تجتث أصولهم، وقد أنذرت إن أغنت النذر؛ ثم أنشد متمثلاً:

قد كنت حذرتك آل المصطلق وقلت يا عمرو أطعني وانطلق

إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق

دونك ما استسقيته فاحس وذق

ثم دخل على عائشة، وقد بلغها أنّه ذكر الحسين وأصحابه، فقال: لأقتلنهم إن لم يبايعوا[1]، فشكاهم إليها، فوعظته وقالت له: بلغني أنّك تتهددهم بالقتل، فقال: يا أُمَّ المؤمنين هم أعز من ذلك ولكني بايعت ليزيد وبايعه غيرهم، أفترين أن أنقض بيعة قد تمت؟ قالت: فارفق بهم فإنّهم يصيرون إلى ما تحب إن شاء الله. قال: أفعل. وكان في قولها له: ما يؤمنك أن أقعد لك رجلاً يقتلك، وقد فعلت بأخي ما فعلت؟ تعني أخاها محمداً. فقال لها: كلا يا أُمّ المؤمنين، إنّي في بيت أمن. قالت: أجل.

ومكث بالمدينة ما شاء الله ثم خرج إلى مكة فلقيه الناس، فقال أولئك النفر: نتلقاه فلعله قد ندم على ما كان منه، فلقوه ببطن مر، فكان أول من لقيه الحسين، فقال له معاوية: مرحباً وأهلاً يابن رسول الله وسيد شباب المسلمين! فأمر له بدابة فركب وسايره، ثم فعل بالباقين

(١) هذا شكل من أشكال إرهاب الدولة، إذ ليس بوسع أحدٍ أن يقول لا، ولو كان الحسين ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة.

مثل ذلك وأقبل يسايرهم لا يسير معه غيرهم حتى دخل مكة، فكانوا أول داخل وآخر خارج، ولا يمضي يوم إلا ولهم صلة ولا يذكر لهم شيئاً، حتى قضى نسكه وحمل أثقاله وقرب مسيره، فقال بعض أولئك النفر لبعض: لا تخدعوا فما صنع بكم هذا لحبكم وما صنعه إلا لما يريد. فأعدوا له جواباً فاتفقوا على أن يكون المخاطب له ابن الزبير.

فأحضرهم معاوية وقال: قد علمتم سيرتي فيكم وصلتي لأرحامكم وحملي ما كان منكم، ويزيد أخوكم وابن عمكم وأردت أن تقدموه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تعزلون وتؤمرون وتجبون المال وتقسمونه لا يعارضكم في شيء من ذلك.. فسكتوا. فقال: ألا تجيبون؟ مرتين.

ثم أقبل على ابن الزبير، فقال: هات لعمري إنّك خطيبهم. فقال: نعم، نخيرك بين ثلاث خصال. قال: اعرضهن. قال: تصنع كما صنع رسول الله، صلى الله عليه وآله، أو كما صنع أبو بكر أو كما صنع عمر. قال معاوية: ما صنعوا؟ قال: قبض رسول الله، صلى الله عليه وآله، ولم يستخلف أحداً فارتضى الناس أبا بكر. قال: ليس فيكم مثل أبي بكر وأخاف الاختلاف. قالوا: صدقت فاصنع كما صنع أبو بكر فإنّه عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه فاستخلفه، وإن شئت فاصنع كما صنع عمر، جعل الأمر شورى في ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده

ولا من بني أبيه. قال معاوية: هل عندك غير هذا؟ قال: لا. ثم قال: فأنتم؟ قالوا: قولنا قوله. قال: فإنّي قد أحببت أن أتقدم إليكم، إنّه قد أعذر من أنذر، إني كنت أخطب فيكم فيقوم إلي القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فأحمل ذلك وأصفح. وإنّي قائم بمقالة فأقسم بالله لئن رد عَليَّ أحدكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه، فلا يبقين رجل إلا على نفسه.

ثم دعا صاحب حرسه بحضرهم فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف، فإن ذهب رجل منهم يرد علَيَّ كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما[1]. ثم خرج هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبتز أمر دونهم ولا يقضى إلا عن مشورتهم، وإنّهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله! فبايع الناس[2]، وكانوا يتربصون بيعة هؤلاء النفر، ثم ركب رواحله وانصرف إلى المدينة، فلقي الناس أولئك النفر فقالوا لهم: زعمتم أنّكم لا تبايعون فلم أرضيتم وأعطيتم وبايعتم؟ قالوا: والله ما فعلنا. فقالوا: ما منعكم أن

(١) فيا لله وللشورى، أي شيء من الإسلام بقي إذا كانت العلاقة بين الراعي والرعية بمثل هذا الشكل، وهل نجد هنا إلا مثالاً للسلطان الجائر؟

(٢) كيف يكون حال دولة يحكمها كذاب؟ وهل جاز لمن يسمى (صحابي) أن يكذب ولا حرج عليه؟

تردوا على الرجل؟ قالوا: كادنا وخفنا القتل.

وبايعه أهل المدينة، ثم انصرف إلى الشام وجفا بني هاشم، فأتاه ابن عباس فقال له: ما بالك جفوتنا؟ قال: إنّ صاحبكم لم يبايع ليزيد فلم تنكروا ذلك عليه. فقال: يا معاوية إنّي لخليق أن أنحاز إلى بعض السواحل فأقيم به ثم أنطق بما تعلم حتى أدع الناس كلهم خوارج عليك. قال: يا أبا العباس تعطون وترضون وترادون.

وقيل: إنّ ابن عمر قال لمعاوية: أبايعك على أنّي أدخل فيما تجتمع عليه الأُمة، فوالله لو اجتمعت على حبشي لدخلت معها! ثم عاد إلى منزله فأغلق بابه ولم يأذن لأحد.اهـ)

نقد وتحليل

وبعدما قرأنا هذه الفقرة من تاريخ ابن الأثير عن كيفية أخذ البيعة ليزيد، فلنا عليه عدة نقاط: إنّ صاحب فكرة البيعة ليزيد هو المغيرة بن شعبة، وكان ذلك منه بعدما علم عزم معاوية على عزله، طمعاً في رضاه، ودفعاً له إلى طريق الغي والضلال، ولذلك قال لأصحابه لما رجع: (لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أُمّة محمد وفتقت عليهم فتقاً لا يرتق أبداً)[1]

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص ١٤٠ تاريخ اليعقوبي ج١ ص ١٩٦ تاريخ ←

إن المغيرة قام بشراء ذمم بعض من لا دين لهم ولا ورع وهم بضعة أشخاص ليكونوا ممثلين عن أهل الكوفة كذباً فيعلنون رغبتهم في البيعة ليزيد بولاية العهد مقابل حفنة من الأموال اشترى بها دينهم، وما أزهده من ثمن.

مضافاً إلى ذلك، فإنّ هؤلاء النفر ليسوا ممن تنعقد البيعة بهم فهم نكرات لا رأي لهم، وإنّما تنعقد البيعة بأهل الرأي (أهل الحل والعقد) وأهل السابقة في الدين.

إنّ أهل الرأي والمشورة الذين وصفناهم آنفاً قد رفضوا البيعة ليزيد، فالحسين بن علي عليهما السلام وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وأهل المدينة رفضوا البيعة واعترضوا على والي المدينة مروان بن الحكم.

٥- إنّ معاوية حاول استخدام أسلوب شراء الذمم مع من ذكرنا ولكنه لم يفلح، فعمد إلى الأساليب المخابراتية بالتهديد بالقتل ووضع السيف على رقابهم[١]، فمشروعية بيعة كهذه متوقفة على مشروعية هذا

الإسلام للذهبي ج٢ ص ١٢١

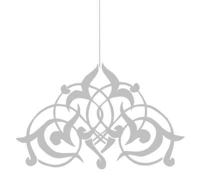
(١) وهذه هي سياسة معاوية مع معارضيه، ويكفيك مثال على ذلك ما فعله بحجر ابن عدي الكندي راجع تفاصيلها في كتب التاريخ مثل تاريخ الطبري والكامل في

العمل، والله سبحانه يقول في كتابه: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١)

فكل ما قاله معاوية وما قيل له من النصح لأمة محمد صلى الله عليه وآله وطلب الإصلاح لها كذب من معاوية ومن يتولاه تفضحه أقوالهم وأفعالهم التي أخرجناها فيما سبق.

التاريخ والمنتظم وغيرها من أُمهات الكتب، وترحم الصحابة والتابعين على حجر وأصحابه كقول الحسن البصري: أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة. انتزاؤه على هذه الأُمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله، صلى الله عليه وآله: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)، وقتله حجراً وأصحاب حجر، فيا ويلاً له من حجر! ويا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر/الكامل في التاريخ ج٢ص١٣٦.

(١) سورة آل عمران ١٦١.



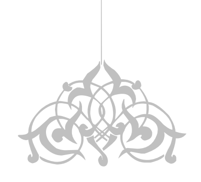
البيعة الثانية

وأما البيعة الثانية ليزيد فقد نودي بها بعد موت أبيه معاوية سنة ستين للهجرة حيث جاء رسول يزيد إلى عامل معاوية على المدينة الوليد ابن عتبة يخبره بموته ويأمره بأخذ البيعة من أهلها ليزيد، وكتب إليه في صحيفة خاصة وصفها المؤرخون (كأنّها أُذن فأرة): (أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً، ليست فيه رخصة، حتى يبايعوا والسلام)[1] فلما أرسل إلى الحسين ودعاه إلى البيعة قال الحسين: «أما البيعة فإنّ مثلي لا يبايع سراً ولا يجتزأُ بها مني سراً، فإذا خرجت إلى الناس ودعوتهم للبيعة ودعوتنا معهم كان الأمر واحداً»[2].

---

(١) تاريخ الطبري ج٤ ص ٢٥١ المنتظم ج٢ ص١٩١ الكامل في التاريخ ج٢ ص١٤١.

(٢) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٤١ المنتظم ج٢ ص١٩١.



كربلاء....الدم والمبادئ

ثم خرج الحسين بأهله إلى مكة وبقي فيها حتى جاءت أيام الحج فشرع في أعمال الحج، لكنه لما أحس بالخطر من حوله حل من إحرامه ونواها عمرة مفردة وخرج من مكة في يوم التروية الثامن من ذي الحجة متوجهاً إلى الكوفة، بعد أن أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل أمامه ليستطلع حال أهلها.فكان ما كان من قتله وقتل أبنائه وأهل بيته وأصحابه صلوات الله وسلامه عليهم واللعنة الدائمة على من قتلهم أو أعان عليهم، ثم سُبيت عقائل الهاشميين وأُخذن أسيرات إلى الشام، فسود الله وجوهاً ترى أنّ هذا تاريخ يفخر به. وإذا كان هناك مما يفخر به المؤمن - ممزوجاً بالأسى والحزن- بعد مواقف الحسين عليه السلام وصحبه وتضحياتهم في سبيل كلمة الحق، صَوت بطلة كربلاء زينب ابنة عليٍّ عليهما السلام إذ تجيب عبيد الله بن زياد لما سألها: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتكم؟ فتجيبه بكل ما عُرف عن أهل البيت من رباطة

جاش وقوة حجة بقولها: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده[١]. وإنّ المرء ليقف عاجزاً عن التعبير عن حقيقة ما يشعر به تجاه الشجاعة العلوية التي يتحلى بها كلٌّ من علي بن الحسين (زين العابدين) وعمته زينب عليهم السلام في مجلس يزيد وفضحهم له أمام الملأ، حيث طلب أحد من في المجلس إليه أن يهب له واحدة من بنات الرسالة قائلاً: هب لي هذه الجارية.

فقالت لذلك الرجل: كذبت والله ولؤمت، ما ذلك لك وله: فغضب يزيد فقال لها: كذبت! والله إنّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعله لفعلت. قالت: كلا! والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا.

قالت: فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك[٢].

فأي دين هذا الذي خرج منه علي بن أبي طالب وولده الحسين عليهم السلام وثبت عليه يزيد وأبوه؟ وأين هي تلك القاعدة الفقهية

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٧٩ تاريخ الطبري ج٣ ص ٢٨٨ البداية والنهاية ج٨ ص٢١٠.

(٢) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٠ تاريخ الطبري ج٣ ص ٢٩٠ البداية والنهاية ج٨ ص٢١٢.

التي قد التزم بها علماء أهل السنة والجماعة من (أنّ الأصل في أصحاب سيد المرسلين العدالة الكاملة وكل ما يتعارض مع عدالتهم يجب نفيه عنهم)، وبموجب ذلك (شهدوا على الناس، فكل عصر شهيد على من بعده، فقول الصحابة حجة على التابعين وهكذا) ثم يأتي من هو مثل يزيد ويتفوه بما قال، ويصفه البعض أنّه أمير للمؤمنين!! رغم ما فعله مع الحسين وهو من الصحابة على معاييرهم التي وضعوها، بل هو سيد شباب أهل الجنة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو ريحانة رسول الله، وهو وأخوه الحسن المعنيان بقوله تعالى ﴿ وأبناءنا وأبناءكم ﴾ [(١)] وقال عنهما رسول الله صلى الله عليه وآله: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنْ الأَسْبَاطِ»[(٢)] وكان صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «إِنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنْ الدُّنْيَا»[(٣)].

وهو أحد المقصودين بقوله تعالى ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [(٤)].

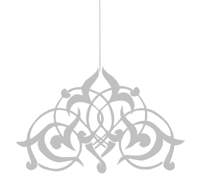
---

(١) آل عمران ٦١.

(٢) سنن الترمذي ج ١٢ ص ٢٤٥ حديث ٣٧٠٨.

(٣) سنن الترمذي ج ١٢ ص ٢٤٠ حديث ٣٧٠٣.

(٤) الشورى ٢٣.



شبهات وردود

كثيرة هي الشبهات التي طرحت حول ثورة الحسين عليه السلام، ومختلفة أيضاً ولكنها تتحد في الغرض من طرحها والخوض فيها وهو التشكيك في مشروعية هذه الثورة ومصادرها من الأصل، ولكنّ أصحاب هذه الشبهات غفلوا أو تغافلوا عمداً أنّ الحسين لا يحتاج من يبحث له عن مشروعية لفعل من أفعاله، فهو أعلم بما يصح أو لا يصح في شريعة جده المصطفى التي تربى في حضنها وارتوى من منهلها ودرج أمام ناظر راعيها المقدس صلى الله عليه وآله وتنفس هواءها الطاهر، ولكننا سنذكر بعض هذه الشبهات وما نوفق له من ردها بإذنه تعالى.

الشبهة الأولى

إنّ الحسين خرج على إمام زمانه، فكان الواجب على يزيد أن يقاتله عملاً بالحديث النبوي وأنّ الذين قاتلوه متأولون معذورون، حيث

ذكر ابن العربي في كتابه العواصم من القواصم: (وما خرج إليه أحد إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر من الدخول في الفتن. وأقواله في ذلك كثيرة: منها قوله صلى الله عليه وآله[1]: «إنّه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأُمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنًا من كان». فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله)[2].

وللرد على هذه الشبهة يمكن القول:

إنّ الحسين عليه السلام لم يخرج بملء إرادته بل إصرار السلطة الحاكمة على اخذ البيعة منه بالذات أو قتله أجبره على ترك مدينة جده صلى الله عليه وآله، فضلاً عمّا وصلت إليه الأُمة من الانحطاط الفكري والعقائدي والأخلاقي وعدم الالتزام بالتعاليم الإلهية التي جاء بها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وكانت الأُمة بحاجة إلى الإصلاح، لذا خروج الإمام عليه السلام له أسباب متعددة منها ما ذكرناها.

فلمّا كان عليه السلام أعلم الخلق في زمانه فإنّه اختار الأصلح للدين

---

(١) من حديث عرفجة في كتاب الإمارة من صحيح مسلم: باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع.

(٢) العواصم من القواصم ج١ ص١٨٥

والمجتمع وما فيه رضى الله تعالى وخروجه كان للحفاظ على قوام الإسلام.

ويدل على ذلك ما أورده المؤرخون، حيث قال الطبري: (فكتب إلى الوليد: بسم الله الرحمن الرحيم من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة أما بعد فإنّ معاوية كان عبداً من عباد الله أكرمه الله واستخلفه وخوله ومكن له فعاش بقدر ومات بأجل فرحمه الله فقد عاش محموداً ومات براً تقياً والسلام وكتب إليه في صحيفة كأنّها أُذن فأرة أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام)[1].

فاستشار الوليد مروان بن الحكم (وقال كيف ترى أن نصنع، قال: فإنّي أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم)[2].

وقد جرت بين الحسين عليه السلام وبين مروان مشادة كلامية، حيث قال مروان للوليد لما أراد الحسين عليه السلام الخروج من عند الوليد: والله إن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً

---

(١) تاريخ الطبري ج٤ ص ٢٥٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

حتى تكثر القتلى بينك وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب الحسين عليه السلام عند ذلك فقال: «يابن الزرقاء، أنت تقتلني أو هو؟ كذبت والله وأثمت»[(١)].

فليس أمام الحسين عليه السلام إن أراد البقاء في مدينة جده صلى الله عليه وآله إلا البيعة ليزيد، وهذا ما لا يرتضيه الحسين لأُمّة جده المصطفى إذ كيف يبايع للفاسق الفاجر، أخرج ابن حجر في لسان الميزان أنّ يزيد بن معاوية: (مقدوح في عدالته وليس بأهل أن يروى عنه وقال أحمد بن حنبل: لا ينبغي أن يروى عنه)[(٢)].

وأخرج يوسف بن المبرد في كتابه (بحر الدم) قال: قال مهنا: سألت أحمد عن يزيد بن معاوية؟ قال: هو هو الذي فعل بالمدينة ما فعل. قلت: وما فعل؟ قال: نهبها. قلت: فيذكر عنه الحديث؟ قال: لا يذكر عنه الحديث. ولا ينبغي لأحد أن يكتب عنه حديثاً. قلت: ومن كان معه حين فعل ما فعل؟ قال: أهل الشام. قلت: وأهل مصر؟

---

(١) المنتظم لابن الجوزي ج٢ ص١٩١، وذكر ابن الطقطقي في الآداب السلطانية ص٤٣: (وكان من أراد ذم مروان وعيبه يقول له: يابن الزرقاء! قالوا وكانت الزرقاء جدتهم من ذوات الرايات التي يستدل بها على بيوت البغايا في الجاهلية فلذلك كانوا يذمون بها).

(٢) لسان الميزان ج٣ ص١٢٦ ميزان الاعتدال للذهبي ج٤ ص ٤٤٠.

قال: لا إنّما كان أهل مصر في أمر عثمان [١].

فإذا كان هذا حال الأمير فعلى الإسلام السلام.

إذاً فليس أمام الحسين عليه السلام إلا الخروج منها، فكان خروجه إلى مكة، ثم إنّه لم يتسنَ له البقاء في مكة أيضاً، وجلاوزة يزيد يلاحقونه لانتزاع البيعة أو انتزاع روحه، فخرج وليس أمامه إلا الكوفة وأهلها قد كاتبوه بالبيعة، ولذلك قال رداً على قول ابن الزبير لما خاطبه: (أما لو كان لي بها مثل شيعتك لما عدلت عنها. ثم خشي أن يتهمه فقال له: أما إنّك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ههنا لما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك. فقال له الحسين عليه السلام: «إنّ أبي حدثني أنّ لها كبشاً به تستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش» ثم قال: «وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم! والله ليعتدن علَيَّ كما اعتدت اليهود في السبت)[٢]. وقيل له: بأبي وأمي يابن رسول الله! ما أعجلك عن الحج؟ فقال: «لو لم أعجل لأخذت»[٣].

---

(١) بحر الدم ليوسف بن المبرد ص١٧٧.

(٢) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٦١.

(٣) تاريخ الطبري ج٣ ص٢٥٢ البداية والنهاية ج٨ ص ١٨٠.

وأما القول إن خروج الحسين عليه السلام قد فرق الأُمة، فيه وجهان:

الوجه الأول: قد انقسمت الأُمّة إلى قسمين مع أنّ الإمام الحسين عليه السلام ما كان يهدف إلى إنقسام الأُمّة، بل هو ميّز بين الحق والباطل، فالالتزام بالحق والنهي عن المنكر جعل فاصلاً بين الحق والباطل وبين الخير والشرّ وليس في ذلك ما يخالف الشرع، لأنّ الناس دائماً منقسمون، فمنهم مع الحق ومنهم مع الباطل فلا ضير على صاحب الحق.

الوجه الثاني: هل اتفقت كلمة أهل الرأي على تآمر يزيد على الأُمّة كي يعدّ الحسين عليه السلام مفرقاً للأُمّة؟

فهل اتفقت كلمة أهل الرأي على تأمير يزيد على الأُمّة؟ وهل مثل الحسين من يعلِّمه ابن عربي ماذا ينبغي له فعله؟ ففي صحيح مسلم عن عَائِشَةُ قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [1] وأخرج

(١) صحيح مسلم ج١٢ ص١٥٧ سنن الترمذي ج١٢ ص٣٧٢

الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله (الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)[١].

واخرج ابن ماجة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله (مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي)[٢]، وحيث إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قرن حب الحسنين بحبه وهما سيدا شباب أهل الجنة ومن أهل البيت الذين قد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم من الدنس فلا بد أن يحكم على من خالفهم وحاربهم بأنّه على باطل وأنّه هو من يريد الخلاف والفرقة لا هم، وهذا الأمر ينبغي أن يكون من الواضحات لمن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كيف لا ورسول الله يقول: «أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ وَسَلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ»[٣].

فهم لا يسالمون أحداً ولا يحاربون أحداً إلا وكانوا على حق في ذلك.

---

(١) سنن الترمذي ج١٢ ص ٢٣٨، ص٢٥١ مسند أحمد ج٢٣ ص٢١١.

(٢) سنن ابن ماجة ج١ ص١٦٢.

(٣) المعجم الكبير للطبراني ج٥ ص ١١٣ الإصابة ج٤ص٤٠ تاريخ ابن عساكر ج١٣ ص٣١٨ الرياض النضرة للمحب الطبري ج١ ص٣٦٣ سمط النجوم العوالي للعصامي ج٢ ص١٧ وزاد الأخيران عليه: «ولي لمن والاهم لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء الولادة».

نعم، قد أمر الله جل شأنه في كتابه العزيز بالاعتصام بحبل الله ونهى عن التفرق في قوله تعالى: { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }[1]، ولنا أن نتساءل، من هو حبل الله؟ هل هو يزيد أم الحسين؟

وخير من يجيبنا هو رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله الذي أخرجه أحمد في مسنده قَالَ (إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِتْرَتِي كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُونِي بِمَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا)[2]، ومحصل القول أن ابن عربي باتهامه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله بالضلال والانحراف قد بين عن هويته الناصبية التي تخالف أهل البيت وتوافق هوى أعدائهم.

حتى أنّ ابن خلدون قد أنكر على ابن عربي ذلك في مقدمته قائلاً: (وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه أنّ الحسين قتل بشرع

---

(١) آل عمران ١٠٣.

(٢) مسند أحمد ج٢٢ ص٢٥٢ ،ص٣٢٤ ،ج٢٣ ص١٨٠سنن البيهقي ج٧ ص٣٠ مصنف ابن أبي شيبة ج٧ ص ١٧٦ سنن النسائي ج٥ ص٥٥ المعجم الكبير ج٣ ص١١٣.

جده، وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل، ومن أعدل من الحسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء؟!).[١]

الشبهة الثانية

إنّ الحسين عليه السلام اعتقد في نفسه الشوكة والقدرة على المواجهة العسكرية، أو بمعنى آخر، إنّ الحسين أراد بخروجه نصراً عسكرياً، وحكماً دنيوياً. ويتبين هذا الرأي عند ابن خلدون في مقدمته إذ يقول: (وأما الحسين فإنّه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من أهل عصره، بعثت شيعة أهل البيت بالكوفة للحسين أن يأتيهم فيقوموا بأمره. فرأى الحسين أنّ الخروج على يزيد متعين من أجل فسقه لا سيما من له القدرة على ذلك، وظنها من نفسه بأهليته وشوكته. فأما الأهلية فكانت كما ظن وزيادة. وأما الشوكة فغلط يرحمه الله)[٢].

والحقيقة أنّ هذا الكلام لا يصدر إلا عن أحد شخصين، إما رجل متحامل ناصبي يريد تزييف الحقائق وتبرئة ساحة القتلة ممن يتولاهم، ويمكن أن ينطبق ذلك على ابن خلدون القائل في مقدمته: (وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به، وبنوه على مذهبهم في تناول

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١١٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١١٢.

بعض الصحابة بالقدح، وعلى قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم، وهي كلها أصول واهية)[١]، فهذا الكلام ينطوي على الطعن ليس في أهل البيت فقط ، بل في شخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، كونه قد أوصى صلى الله عليه وآله بالتمسك بقوم قد شذوا حسب قول ابن خلدون عن سبيل الحق وحاشاهم، بل الشاذ هو من زاغ عنهم، كيف وهم أحد الثقلين والضمان للأُمّة من الضلال.

وأما الشخص الثاني فهو من لم يطلع على مُفَصَل حركة الحسين منذ أن خرج من المدينة حتى استشهد، الذي صرح بأنّه خارج للشهادة مراراً، فقد قال الحسين لمن نصحه بعدم التوجه إلى العراق لأنّه سيقتل: (فلا بد لي إذاً من مصرعي. ومضى).[٢]

وكتب إليه عبد الله بن جعفر كتاباً يحذره أهل العراق ويناشده الله إن شخص إليهم. فكتب إليه الحسين: «إنّي رأيت رؤيا، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بأمر وأنا ماض له، ولست بمخبر بها أحداً حتى أُلاقي عملي[٣] وقال الحسين عليه السلام لابن عباس: «لإن أقتل

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٥٦

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص١٧٦

(٣) نفس المصدر السابق

بمكان كذا وكذا أحب إليّ من أن أقتل بمكة وتستحل بي»[١].

إذاً فالحسين عليه السلام لم يخرج طلباً للنصر والتغلب على جيش يزيد، لأنّ هذا مما لايطلبه عاقل يرى كثرة الجيش الذي يريد قتاله وقلة أنصاره، كما هو الحال مع الحسين، بل إنّه خرج أكيداً طلباً للشهادة التي سعى إليها أبوه وعمه جعفر بن أبي طالب وعم أبيه الحمزة (عليهم السلام)، فهو خارج على بصيرة من أمره، وكيف لا يكون كذلك، وهذا جده رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبر بقتله في كربلاء على يد من يدعي الانتساب إلى الإسلام، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ مَلَكَ الْمَطَرِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يَأْتِيَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَأَذِنَ لَهُ فَقَالَ لِأُمِّ سَلَمَةَ امْلِكِي عَلَيْنَا الْبَابَ لَا يَدْخُلْ عَلَيْنَا أَحَدٌ قَالَ وَجَاءَ الْحُسَيْنُ لِيَدْخُلَ فَمَنَعَتْهُ فَوَثَبَ فَدَخَلَ فَجَعَلَ يَقْعُدُ عَلَى ظَهَرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَعَلَى مَنْكِبِهِ وَعَلَى عَاتِقِهِ قَالَ فَقَالَ الْمَلَكُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَتُحِبُّهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَمَا إِنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُهُ وَإِنْ شِئْتَ أَرَيْتُكَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقْتَلُ فِيهِ فَضَرَبَ بِيَدِهِ فَجَاءَ بِطِينَةٍ حَمْرَاءَ فَأَخَذَتْهَا أُمُّ سَلَمَةَ فَصَرَّتْهَا فِي خِمَارِهَا قَالَ قَالَ ثَابِتٌ بَلَغَنَا أَنَّهَا كَرْبَلَاءُ[٢].

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص١٧٨.

(٢) مسند أحمد ج٢٧ ص٩٧ المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٧٧ صحيح ابن حبان ج٢٨ ص٢٥

وكذلك أخبر بقتله أبوه أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام قال: «ليقتلن الحسين ظلماً، وإنّي لأعرف بتربة الأرض التي يقتل فيها قريباً من النهرين»[١].

بل إنّ سيدنا الحسين نفسه قد أخبر بما أخبره به جده المصطفى من قتله في كربلاء فعن ابن أبي عاصم في كتابه الآحاد والمثاني قال: لما أحيط بالحسين بن عليٍّ عليهما السلام، قال: «ما اسم هذه الأرض؟ فقيل: «كربلاء». فقال: «صدق النبي صلى الله عليه وآله، إنّما هي أرض كرب وبلاء»[٢].

كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بكى على الحسين عليه السلام وذكر أنّ قتله يكون على يد أُمَّته، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن نُجَيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَافَرَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَلَمَّا حَاذَى نِينَوَى، قَالَ: (صَبْرًا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، صَبْرًا بِشَطِّ الْفُرَاتِ، قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ذَاتَ يَوْمٍ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ، فَقُلْتُ: هَلْ أَغْضَبَكَ أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ مَالِي أَرَى عَيْنَيْكَ مُفِيضَتَيْنِ؟ قَالَ: «قَامَ مِنْ عِنْدِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أُمَّتِي تَقْتُلُ الْحُسَيْنَ

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٧ ص ٢٧٦

(٢) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ص ٤٤٠ المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٧٦

ابْنِي، ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ أُرِيَكَ مِنْ تُرْبَتِهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَمَدَّ يَدَهُ فَقَبَضَ، فَلَمَّا رَأَيْتُهَا لَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ أَنْ فَاضَتَا»[1].

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «اجْلِسِي بِالْبَابِ، وَلا يَلِجَنَّ عَلَيَّ أَحَدٌ»، فَقُمْتُ بِالْبَابِ، إِذْ جَاءَ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَذَهَبْتُ أَتَنَاوَلُهُ، فَسَبَقَنِي الْغُلامُ، فَدَخَلَ عَلَى جَدِّهِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَمَرْتَنِي أَنْ لا يَلِجَ عَلَيْكَ أَحَدٌ، وَإِنَّ ابْنَكَ جَاءَ، فَذَهَبْتُ أَتَنَاوَلُهُ فَسَبَقَنِي، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ تَطَلَّعْتُ مِنَ الْبَابِ، فَوَجَدْتُكَ تُقَلِّبُ بِكَفَّيْكَ شَيْئًا وَدُمُوعُكَ تَسِيلُ، وَالصَّبِيُّ عَلَى بَطْنِكَ، قَالَ: «نَعَمْ، أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أُمَّتِي يَقْتُلُونَهُ، وَأَتَانِي بِالتُّرْبَةِ الَّتِي يُقْتَلُ عَلَيْهَا، فَهِيَ الَّتِي أُقَلِّبُ بِكَفَّيَّ»[2].

فكيف يزعم أحد أنّ الحسين عليه السلام أراد بخروجه إلى كربلاء الاستيلاء على السلطة؟، فعلى الرغم من أنّه أولى بها – أي الخلافة - ممن هو خير من يزيد وأضراب يزيد، إلاّ أنّه خرج طلباً للإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعدما وصل الانحراف في أُمّة جده إلى حدٍّ لا يسعه السكوت عنه.

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٧٦.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٨٣.

الشبهة الثالثة

إنّ الحسين لم يصغ إلى نصائح العقلاء من الصحابة والآل الذين أشاروا عليه بعدم الخروج إلى العراق، واغتر ببعض المتهورين فكان أن قتل وأريق دمه.

وهذا الرأي تجده عند ابن عربي حيث يقول في عواصمه: (فنهاه ابن عباس وأعلمه أنّهم خذلوا أباه وأخاه، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج، فلم يبلغ الكوفة إلا ومسلم بن عقيل قد قتل وأسلمه من كان استدعاه! ويكفيك بهذا عظة لمن اتعظ. فتمادى واستمر غضبًا للدين وقيامًا بالحق. ولكنه لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عباس، وعدل عن رأي شيخ الصحابة ابن عمر وطلب الابتداء في الانتهاء، والاستقامة في الاعوجاج، ونضارة الشبيبة في هشيم المشيخة. ليس حوله مثله ولا له من الأنصار من يرعى حقه، ولا من يبذل نفسه دونه، فأردنا أن نطهر الأرض من خمر يزيد فأرقنا دم الحسين، فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر)[١].

لكنّ صاحب هذا القول قد نسي أو تناسى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد أوصى الأُمّة بالتمسك بكتاب الله وعترته أهل بيته

---

(١) العواصم من القواصم ج١ ص١٨٤

العاصمين من الضلال، لا هؤلاء المشيرون على الحسين بعدم الخروج، فهم مع جلالتهم لا يبلغون مقام أن يشيروا على الحسين، وإن سمع الحسين مشورتهم فله أن يأخذ بها أو يدعها، وهل في التضحية في سبيل الله ودينه انتهاء؟ أو في الشهادة اعوجاج، وهل في خلافة يزيد استقامة؟ وهل سياسة الأُمّة والأخذ بزمامها حق لمن هو ألعوبة بيد من تتمايل به نزوات الشباب حتى يكون عدلاً للحسين، الذي بلغ هشيم المشيخة كما يعبر ابن العربي، مؤهلاً لمنازعته عليها، كما يصور لنا؟

وأما قوله: (ليس حوله مثله) فهذا نصف الحقيقة، إذ ليس على وجه الأرض مثل الحسين، وليس فقط حوله، منذ ذلك الوقت وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وأما قوله: (ولا له من الأنصار من يرعى حقه، ولا من يبذل نفسه دونه)، فإنّنا سنترك الحسين يرد عليه ، فهو الصادق نسل الصادقين، وهو أعرف بأصحابه، حيث يقول عنهم: «أما بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً»[١].

بل إنّ عدوهم الألد عمرو بن الحجاج يصيح بالناس محرضاً: أتدرون من تقاتلون؟ فرسان المصر، قوماً مستميتين، لا يبرز إليهم منكم

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٣ ص٢٧٧ الكامل في التاريخ ج٢ ص١٦٩

أحد، فإنّهم قليل وقلّ ما يبقون، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم[١].

وهذا أحد أعدائهم يشهد لهم بالبسالة والبطولة التي رآها بأُمّ عينه لا كمثل ابن عربي المتخرص بالأباطيل، إذ لما رجع كعب بن جابر، أحد جنود ابن زياد، قالت له امرأته، أو أُخته النوار بنت جابر: أعنت على ابن فاطمة، وقتلت سيد القراء؛ لقد أتيت عظيماً من الأمر، والله لا أكلمك من رأسي كلمةً أبداً.

فقال كعب بن جابر:

سلي تخبري عني وأنت ذميمةٌ	غداة حسينٍ والرماح شوارع
ألم آت أقصى ما كرهت ولم يخل	علي غداة الروع ما أنا صانع
معي يزنيٌّ لم تخنه كعوبه	وأبيض مخشوب الغرارين قاطع
فجردته في عصبةٍ ليس دينهم	بديني وإنّي بابن حربٍ لقانع
ولم تر عيني مثلهم في زمانهم	ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع
أشد قراعاً بالسيوف لدى الوغى	ألا كل من يحمي الذمار مقارع
وقد صبروا للطعن والضرب حسراً	وقد نازلوا لو أن ذلك نافع

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٧٣ المنتظم لابن الجوزي ج٢ ص ١٩٨ تاريخ الرسل والملوك ج٣ ص ٢٧٧

فأبلغ عبيد الله إما لقيته ... بأني مطيعٌ للخليفة سامع
قتلت بريراً ثم حملت نعمةً ... أبا منقذٍ لما دعا: من يماصع؟[1]

فأعداؤهم يمدحونهم ويعدّونهم من الأشراف وذوي الفضل، والفضل ما شهدت به الأعداء. بعد أن شهد لهم سيدنا الحسين عليه السلام وليس بعد قوله قول، لا لابن عربي هذا ولا لمن هو خير منه.

بل اسمع إلى هؤلاء الأنصار بماذا أجابوا الحسين عليه السلام لما قال لهم:

«هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعاً، ثم تفرقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإنّ القوم يطلبونني ولو أصابوني لهو عن طلب غيري».

فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء إخوته وأبناء عبد الله بن جعفر: لم نفعل هذا؟ لنبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبداً! فقال الحسين: «يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم».

قالوا: وما نقول للناس؟ نقول: تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن منهم برمح ولم

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٣ ص ٢٧٦.

نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا؟ لا والله لا نفعل ولكنا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك!

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال:

أنحن نتخلى عنك ولم نعذر إلى الله في أداء حقك. أما والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، والله لو لم يكن معي سلاحي لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك.

وتكلم أصحابه بنحو هذا، فجزاهم الله خيراً)[١].

وفي رواية ابن الجوزي في المنتظم: قال مسلم بن عوسجة: والله لو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لرميتهم بالحجارة، وقال سعيد بن عبد الله الحنفي: والله لا نخليك حتى يعلم الله أنّنا قد حفظنا غيبة رسول الله فيك، والله لو علمت أنّي أُقتل، ثم أحيا، ثم أحرق حياً، ثم أذرى تسعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حِمامي دونك[٢].

فمن من أصحاب الحسين عليه السلام لم يرع حقه؟ ومن منهم لم يبذل نفسه دونه؟ والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٦٩

(٢) المنتظم لابن الجوزي ج٢ ص ١٩٧

الشبهة الرابعة

إنّ يزيد قد اجتهد فأخطأ فله أجر، وهو لم يرض بقتل الحسين، وأنّه قد ندم وتاب إلى الله من هذا العمل.كما عن الذهبي في تاريخه (تاريخ الإسلام): (لما قتل الحسين وبنو أبيه، بعث ابن زياد برؤوسهم إلى يزيد، فسر بقتلهم أولاً، ثم ندم فكان يقول: وما علَيَّ لو احتملت الأذى وأنزلت الحسين معي، وحكمته فيما يريد، وإن كان علَيَّ في ذلك وهن في سلطاني حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ورعاية لحقه وقرابته، لعن الله ابن مرجانة - يريد عبيد الله -، فإنّه أخرجه واضطره..).[1]

ونقل ابن تيمية: (أنّ يزيد لما بلغه مقتل الحسين أظهر التألم من ذلك. وقال: لعن الله أهل العراق، لقد كنت أرضى من طاعتهم بدون هذا.

وقال في ابن زياد: أما إنّه لو كان بينه وبين الحسين رحم لما قتله، وأنّه ظهر في داره الندب لقتل الحسين، وأنّه لما قدم عليه أهله وتلاقى النساء تباكن، وأنّه خير ابنه علياً بين المقام عنده والسفر إلى المدينة، فاختار السفر إلى المدينة فجهزه إلى المدينة جهازاً حسناً.

فهذا ونحوه مما نقلوه بالأسانيد التي هي أصح وأثبت من ذلك الإسناد المنقطع المجهول: يبين أن يزيد لم يظهر الرضا بقتل الحسين، وأنّه

---

(١) تاريخ الإسلام ج٢ ص٥٦

أظهر الألم لقتله.والله أعلم بسريرته)(١).

ولا ندري كيف حفظ يزيد الرحم التي بينه وبين الحسين، هل حينما أمر بقتله إن لم يبايع؟ ومتى أظهر التألم على قتله؟ هل كان ذلك لما بدأ ينكث ثنايا الحسين بالقضيب.

وأما قوله (والله أعلم بسريرته)، فنسأل ابن تيمية: هل بقي في سريرة يزيد شيء لم يظهره؟ أم أنّ ابن تيمية لا يعرف ما فعل يزيد في الحرة من فضائع مخزية تدل على توبته!!!، ولعل ابن تيمية يقول إنّ يزيد لم يأمر بذلك ولا رضيه، ولكن ما هي تفاصيل واقعة الحرة؟ سنعرف فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

بل إنّ ابن تيمية قد أنكر حمل رأس الحسين إلى يزيد وحادثة نكثه ثنايا الحسين بالقضيب رغم نقل أكابر المؤرخين لها في تواريخهم من أمثال الطبري وغيره، لا لشيء إلا ليبرئ يزيد من دم الحسين ولو بإلقاء جريرتها على أمير جنده عبيد الله بن زياد، حيث قال: (وإما أهل الأهواء ونحوهم: فيعتمدون على نقل لا يعرف له قائل أصلاً، لا ثقة ولا ضعيف، وأهون شيء عندهم الكذب المختلق، وأعلم من فيهم لا يرجع فيما ينقله إلى عمدة، بل إلى سماعات عن المجاهيل والكذابين،

---

(١) رأس الحسين لابن تيمية ص ٢٠٦ -٢٠٧.

وروايات عن أهل الإفك المبين.

فقد تبين أنّ القصة التي يذكرون فيها حمل الرأس إلى يزيد، ونكته بالقضيب: كذبوا فيها: وإن كان الحمل إلى ابن زياد - وهو الناكت بالقضيب - ولم ينقل بإسناد معروف عن الرأس حمل إلى قدام يزيد)[١].

ويقول في سياق ذلك: (والمصنفون من أهل الحديث في ذلك - كالبغوي، وابن أبي الدنيا، ونحوهما: كالمصنفين من أهل الحديث في سائر المنقولات - هم بذلك أعلم وأصدق بلا نزاع بين أهل العلم. لأنّهم يسندون ما ينقلونه عن الثقات، أو يرسلونه عمن يكون مرسله مقارب الصحة)[٢].

فاسمع ما ينقله الثقات عند ابن تيمية في تواريخهم لتعلم مدى كذبه وتدليسه في نقل الحقائق، فهذا ابن كثير يقول في تاريخه: (ثم أُمر برأس الحسين فنصب بالكوفة وطيف به في أزقتها، ثم سيره مع زحر بن قيس ومعه رؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية بالشام، وكان مع زحر جماعة من الفرسان، منهم أبو بردة بن عوف الأزدي: وطارق بن أبي ظبيان الازدي، فخرجوا حتى قدموا بالرؤوس كلها على يزيد بن

(١) المصدر السابق نفسه ص ٢٠٥

(٢) المصدر السابق نفسه

معاوية)[١].

فكل ما يخالف ابن تيمية فهو كذب عنده، ولو أخرجه أوثق الرواة، وما وافقه فهو الصحيح المسند، ولو أخرجه أشهر الوضاعين، وما ذلك إلا لنصبه وميله عن سبيل أهل البيت عليهم السلام، ولهذا فهو كثيراً ما يناقض نفسه، فبينما يقول في موضع من كتابه: (ويزيد بن معاوية: قد أتى أُموراً منكرة منها: وقعة الحرة، وقد جاء في الصحيح عن عليٍّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «المدينة حرم ما بين عاثر إلى كذا.من أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» وقال «من أراد أهل المدينة بسوء أماعه الله كما ينماع الملح في الماء»[٢].

نجده بعد ذلك بعدة سطور يقول: (ومذهب أهل السنة والجماعة: أنّهم لا يكفرون أهل القبلة بمجرد الذنوب، ولا بمجرد التأويل، بل الشخص الواحد إذا كانت له حسنات وسيئات: فأمره إلى الله تعالى). وقال أيضاً: (ولا نقل أحد أنّه كان على أسوأ الطرائق التي توجب الحد، ولكن ظهر من أمره في أهل الحرة ما لا نستريب أنّه عدوان محرم وكان له

---

(١) البداية والنهاية ج٨ ص٢٠٨

(٢) رأس الحسين لابن تيمية ص ٢٠٧

موقف في القسطنطينية - وهو أول جيش غزاها-ما يعد من الحسنات)[١].

فما هذا الهذيان يا شيخ الإسلام؟

فإذا كان قد جاء في الصحيح كما تعترف أنت أنّ المدينة حرم ما بين عاثر إلى كذا. من أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، فأي حسنات تلك التي تتشدق بها وتنسبها للرجل، وأنت تعترف بأنّه مستحق للعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وفي أي ميزان ستضع حسناته المزعومة إذا كان الله لايقبل له صرفاً ولا عدلاً.

بل إن رسالة ابن عباس إلى يزيد لما أراد استمالته بعد قتله للحسين عليه السلام تفضح كل تخرصات ابن تيمية وتلقمه حجراً حيث جاء فيها: (أما بعد فقد جاءني كتابك، فأما تركي بيعة ابن الزبير فوالله ما أرجو بذلك برك ولا حمدك ولكن الله بالذي أنوي عليمٌ، وزعمت أنّك لست بناسٍ بري، فاحبس أيها الإنسان برك عنّي فإنّي حابسٌ عنك بري، وسألت أن أحبب الناس إليك وأبغضهم وأخذلهم لابن الزبير، فلا ولا سرور ولا كرامة، كيف وقد قتلت حسيناً وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٢٠٥

مـرملين بالـدماء، مـسلوبين بـالعراء، مقتـولين بالظمـاء؛ لا مكفـنين ولا موسـدين، تـسفي علـيهم الريـاح، وينـشى بهـم عـرج مجلـسك الـذي جلست، فما أنس من الأشـياء فلـست بنـاسٍ اطـرادك حـسيناً مـن حـرم رسول الله، صلى الله عليه وآله، إلى حرم الله، وتسييرك الخيول إليه، فما زلت بذلك حتى أشخصته إلى العراق، فخرج خائفـاً يترقـب، فنزلـت بـه خيلـك عـداوةً منـك لله ولرسـوله ولأهـل بيتـه الـذين أذهـب الله عنـهم الـرجس وطهـرهم تطهـيراً، فطلـب إلـيكم الموادعـة وسـألكم الرجعـة، فاغتنمتم قلة أنصاره واستئصال أهل بيتـه وتعـاونتم عليـه كـأنّكم قتلـتم أهل بيت من الترك والكفر، فلا شيء أعجـب عنـدي مـن طلبتـك ودي وقد قتلت ولد أبي وسيفك يقطر من دمي وأنت أحد ثأري ولا يعجبـك أن ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوماً، والسلام)[١].

وعلى طريقته في بتر الحقائق نراه ينقل رأي أحمد بن حنبل في يزيد مبتوراً لأن حبه ليزيد يمنعه من إظهار الحقيقة كاملة، قال في كتابه: (ولهذا قيل للإمام أحمد: أتكتب الحديث عـن يزيـد؟ فقـال: لا، ولا كرامـة أو ليس هو الذي فعل بأهل الحرة ما فعل؟. وقيل له: إنّ قوماً يقولون: إنا نحب يزيد: فقال: وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟ فقيل:

(١) الكامل في التاريخ ج٢ص ١٩٤.

فلماذا لا تلعنه؟ فقال: ومتى رأيت أباك يلعن أحداً. انتهى)[١].

لكن كلام أحمد لم ينته بعد، فقد روى الحديث بتمامه أبو الفرج ابن الجوزي وغيره وفيه: (ولم لا يلعن من لعنه الله تعالى في كتابه؟ فقيل له: وأين لعن الله يزيد في كتابه؟ فقرأ أحمد قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[٢] ثم قال فهل يكون فساد أعظم من القتل)[٣].

ويكفيك لتعرف الدافع له أن يكذب ويزيف الحقائق، أنّه يبغض علياً إلى الحد الذي جعله ينكر من فضائله حتى ما اشتهر منها ويكفي للوقوف ذلك الاطلاع على كتابه (منهاج السنة)، قال ابن حجر العسقلاني عن ابن تيمية: (ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في عليٍّ ما تقدم ولقوله إنّه كان مخذولاً حيث ما توجه وأنّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها وإنّما قاتل للرياسة لا للديانة ولقوله إنّه كان يحب الرياسة وأن عثمان كان يحب المال ولقوله أبو بكر أسلم شيخاً يدري ما يقول وعليٌّ

(١) البداية والنهاية ج٨ ص ٢٠٥.

(٢) محمد ٢٢-٢٣.

(٣) الرد على المتعصب العنيد لابن الجوزي ص١٦، الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي ص ٦٣ -٦٤، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج٢ ص٩٦

أسلم صبياً والصبي لا يصح إسلامه على قول)[١].

فهو يقول - مثلاً- حول حديث أقضاكم علي: فهذا الحديث لم يثبت، وليس له إسناد تقوم به الحجّة... لم يروه أحد في السنن المشهورة، ولا المسانِد المعروفة، لا بإسناد صحيح ولا ضعيف، وإنّما يروى من طريق من هو معروف بالكذب[٢].

مع العلم إن هذا الحديث موجود في: صحيح البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ كذا في الدرّ المنثور[٣]، وعن النسائي أيضاً، وابن الانباري، ودلائل النبوّة للبيهقي، وهو في الطبقات لابن سعد، وفي المسند لأحمد بن حنبل، وبترجمته (عليه السلام) من سنن ابن ماجة، وفي المستدرك على الصحيحين وقد صحّحه، وفي الاستيعاب، وأُسد الغابة، وحلية الأولياء، وفي الرياض النضرة، وغيرها من الكتب[٤].

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ص ٥٠

(٢) منهاج السنة ج٧ ص ٥١٢

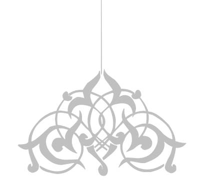
(٣) الدر المنثور ج١ص١٩٧ تفسير ابن كثيرج١ص٣٧٧ صحيح البخاري ج١٣ص٤٠٢ سنن النسائي ج٦ص٢٨٩ تاريخ الذهبي ج١ص٣٩٧

(٤) الطبقات الكبرى ج٢ ق٢ ص١٠٢ ،تفسير القرطبي ج١٥ ص١٦٢ و ١٦٤ أحكام القرآن لابن العربي ج٧ ص ٤و٦



الفصل الثاني

واقعة الحرة ... انتهاك الحرمات



واقعة الحرة وخلع يزيد

الصورة الثانية من صور الهمجية البربرية اليزيدية هي واقعة الحرة، وما أدراك ما واقعة الحرة؟ نفوس أُزهقت لأهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وبقية الصحابة والتابعين، والقراء وأبناء المهاجرين والأنصار، وأموال نهبت، وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله استبيح ثلاثة أيام، ومقدسات دنست.

وإنا لنستعظم واحدة من تلك الجرائم لو صدرت من قوات الاحتلال الصهيوني، وتأخذ وسائل الإعلام العربي والعالمي في التحدث بها، بل إنّ المسلمين على مستوى العالم قد انتفضوا غيرة لرسول الله حينما تطاول عليه رسام دنماركي، حقير ممن لا دين لهم، برسوم كاريكاتيرية مسيئة، وهكذا ينبغي أن يكون المسلم غيوراً على دينه. لكن ما قول هذا المسلم حينما يعلم أنّ حاكماً يحكم باسم الإسلام، يفعل

أكثر من ذلك؟ ولا يزال فقهاء السوء ووعاظ السلاطين ومفتو البلاط يدافعون عنه ويكفرون من يتناوله بسوء، إنّها وقعة الحرة الفظيعة.

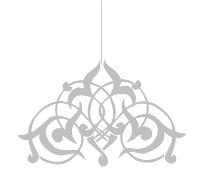
قد عرفنا فيما سبق أنّ يزيد قد أمر عامله على المدينة بأخذ البيعة له من أهلها طوعاً وكرهاً، لكنّ أهل المدينة ما لبثوا أن خلعوا بيعته لما عرفوا من فسقه ومروقه، يقول الطبري في تاريخه: (... بعث إلى يزيد وفداً من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي والمنذر بن الزبير ورجالاً كثيرا من أشراف أهل المدينة فقدموا على يزيد بن معاوية فأكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم، ثم انصرفوا من عنده وقدموا المدينة كلهم إلا المنذر بن الزبير فإنّه قدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة وكان يزيد قد أجازه بمائة ألف درهم، فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعتبه وقالوا إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه فتابعهم الناس وقال لوط بن يحيى فحدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق أنّ الناس أتوا عبد الله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولوه عليهم)[1] وقال ابن الأثير: (فلما

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٣ ص٢٩٩ البداية والنهاية ج٨ ص٢٣٤

رجعوا قدموا المدينة كلهم إلا المنذر بن الزبير، فإنّه قدم العراق على ابن زياد، وكان يزيد قد أجازه بمائة ألف، فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعيبه. وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الحراب، وهم اللصوص، وإنّا نشهدكم أنا قد خلعناه.

وقام عبد الله بن حنظلة الغسيل فقال: جئتكم من عند رجل لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطاني وأكرمني وما قبلت منه عطاءه إلا لأتقوى به. فخلعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولوه عليهم)[١].

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٦.



إخراج الوالي ومحاصرة بني أُميّة

ثم يقول في أحداث سنة أربع وستين للهجرة: (كان أول وقعة الحرة ما تقدم من خلع يزيد، فلما كانت هذه السنة أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد وحصروا بني أُمية بعد بيعتهم عبد الله بن حنظلة، فاجتمع بنو أُمية ومواليهم ومن يرى رأيهم في ألف رجل حتى نزلوا دار مروان بن الحكم، فكتبوا إلى يزيد يستغيثون به، فقدم الرسول إليه وهو جالس على كرسي وقد وضع قدميه في طشت فيه ماء لنقرس كان بهما، فلما قرأ الكتاب تمثل:

لقد بدلوا الحلم الذي في سجيتي   فبدلت قومي غلظةً بليان

ثم قال: أما يكون بنو أُمية ألف رجل؟ فقال الرسول: بلى والله وأكثر. قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من النهار! فبعث إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب وأمره أن يسير إليهم في الناس، فقال: قد كنت

ضبطت لك الأُمور والبلاد، فأما الآن إذ صارت دماء قريش تهرق بالصعيد فلا أحب أن أتولى ذلك.

وبعث إلى عبيد الله بن زياد يأمره بالمسير إلى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة، فقال: والله لا جمعتهما للفاسق[1]، قتل ابن رسول الله وغزو الكعبة. ثم أرسل إليه يعتذر.

فبعث إلى مسلم بن عقبة المري، وهو الذي سمي مسرفاً، وهو شيخ كبير مريض، فأخبره الخبر، فقال: أما يكون بنو أمية ألف رجل؟ فقال الرسول: بلى. قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من النهار! ليس هؤلاء بأهل أن ينصروا فإنّهم الأذلاء، دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوهم ويتبين لك من يقاتل على طاعتك ومن يستسلم. قال: ويحك! إنّه لا خير في العيش بعدهم، فاخرج بالناس.

وقيل: إنّ معاوية قال ليزيد: إنّ لك من أهل المدينة يوماً، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة، فإنّه رجل قد عرفت نصيحته.

فلما خلعه أهل المدينة أمر مسلماً بالمسير إليهم، فنادى في الناس بالتجهز إلى الحجاز وأن يأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دينار، فانتدب

---

(١) وشهد شاهد من أهلها، فهذا ابن زياد ذراع يزيد الأيمن في سفك دماء أهل البيت يصرح بفسق يزيد.

لذلك اثنا عشر ألفاً، وخرج يزيد يعرضهم وهو متقلداً سيفاً متنكباً قوساً عربية، وهو يقول:

أبلغ أبا بكرٍ إذا الليل سرى وهبط القوم على وادي القرى

أجمع سكران من القوم ترى أم جمع يقظان نفى عنه الكرى

يا عجباً من ملحدٍ يا عجباً مخادعٍ بالدين يعفو بالعرى

وسار الجيش وعليهم مسلم، فقال له يزيد: إن حدث بك حدثٌ فاستخلف الحصين بن نمير السكوني، وقال له: ادع القوم ثلاثاً، فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فانهبها ثلاثاً، فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس)[1].

(وأما مسلم فإنّه أقبل بالجيش فبلغ أهل المدينة خبرهم، فاشتد حصارهم لبني أُمية بدار مروان، وقالوا: والله لا نكف عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه أن لا تبغونا غائلةً، ولا تدلوا لنا على عورة، ولا تظاهروا علينا عدواً، فنكف عنكم ونخرجكم عنا. فعاهدوهم على ذلك فأخرجوهم من المدينة)[2].

---

(١) لاحظ الأوامر الصادرة من يزيد تعرف السبب فيما فعله مسرف بن عقبة هذا.

(٢) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٩.

فلما أخرج أهل المدينة بني أُمية ساروا بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القرى...... فدخل عبد الملك- ابن مروان - فقال:

هات ما عندك. فقال: نعم، أرى أن تسير بمن معك، فإذا انتهيت إلى ذي نخلة نزلت فاستظل الناس في ظله فأكلوا من صقره، فإذا أصبحت من الغد مضيت وتركت المدينة ذات اليسار ثم درت بها حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقاً ثم تستقبل القوم، فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم الشمس طلعت بين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم ويصيبهم أذاها ويرون من ائتلاق بيضكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم ما لا ترونه أنتم ما داموا مغربين، ثم قاتلهم واستعن الله عليهم. فقال له مسلم: لله أبوك أي امرئ ولد! ثم إنّ مروان دخل عليه فقال له: إيه! فقال: أليس قد دخل عليك عبد الملك. قال: بلى؛ وأي رجل عبد الملك! قلّ ما كلمت من رجال قريش رجلاً به شبيهاً. فقال مروان: إذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني[1].

وذكر المؤرخون أنّ مروان بن الحكم لما أُخرج مع بني أُمية من المدينة على يد الثوار أودع عياله وحريمه لدى علي بن الحسين عليهما السلام كي لا يصل إليهم سوء فرحب ابن الحسين بهم وحافظ عليهم

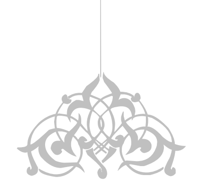
---

(١) المصدر السابق نفسه.

كما يحافظ على عياله، (وقد كان مروان بن الحكم كلم ابن عمر لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أُمية في أن يغيب أهله عنده، فلم يفعل، فكلم علي بن الحسين، فقال: إنّ لي حرماً وحرمي تكون مع حرمك. فقال: أفعل، فبعث بامرأته، وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان، وحرمه إلى علي بن الحسين، فخرج علي بحرمه وحرم مروان إلى ينبع، وقيل: بل أرسل حرم مروان وأرسل معهم ابنه عبد الله بن علي إلى الطائف).[1]

فسبحان مقلب الأحوال حيث إنّ مروان هذا أشار على عامل المدينة أن يأخذ البيعة من الحسين بن علي عليهما السلام وإن أبى قتله، ثم هو الآن يستجير بآل البيت.

(١) الكامل في تاريخ ج٢ص١٨٩ ،تاريخ الرسل والملوك ج٣ص٣٠٥



واقعة غير متكافئة الطرفين

ثم إنّه صار في كل مكان يصنع ما أمر به عبد الملك، فجاءهم من قبل المشرق، ثم دعاهم مسلم فقال: إنّ أمير المؤمنين يزعم أنّكم الأصل، وإنّي أكره إراقة دمائكم، وإنّي أؤجلكم ثلاثاً، فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه وانصرفت عنكم وسرت إلى هذا المحل الذي بمكة، وإن أبيتم كنا قد اعتذرنا إليكم.

فلما مضت الثلاث قال: يا أهل المدينة ما تصنعون، أتسالمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب. فقال لهم: لا تفعلوا بل ادخلوا في الطاعة ونجعل جدنا وشوكتنا على أهل هذا الملحد الذي قد جمع إليه المراق والفساق من كل أوب - يعني ابن الزبير - فقالوا له: يا أعداء الله لو أردتم أن تجوزوا إليه ما تركناكم، نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام فتخيفوا أهله وتلحدوا فيه وتستحلوا حرمته! لا والله لا نفعل.

وكان أهل المدينة قد اتخذوا خندقاً وعليه جمع منهم، وكان عليه عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف، وهو ابن عم عبد الرحمن بن عوف، وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر، وهم قريش في جانب المدينة، وكان معقل بن سنان الأشجعي، وهو من الصحابة، على ربع آخر، وهم المهاجرون، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري في أعظم تلك الأرباع، وهم الأنصار.

وصمد مسلم فيمن معه، فأقبل من ناحية الحرة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة، وكان مريضاً، فأمر فوضع له كرسيٌّ بين الصفين وقال: يا أهل الشام قاتلوا عن أميركم وادعوا. فأخذوا لا يقصدون ربعاً من تلك الأرباع إلا هزموه، ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل، فحمل عليهم ابن الغسيل فيمن معه فكشفهم، فانتهوا إلى مسلم، فنهض في وجوههم بالرجال وصاح بهم، فقاتلوا قتالاً شديداً.

ثم إنّ الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء إلى ابن الغسيل فقاتل معه في نحو من عشرين فارساً قتالاً حسناً، ثم قال لابن الغسيل: من كان معك فارساً فليأتني فليقف معي، فإذا حملت فليحملوا، فوالله لا أنتهي حتى أبلغ مسلماً فأقتله أو أُقتل دونه. ففعل ذلك وجمع الخيل إليه، فحمل بهم الفضل على أهل الشام فانكشفوا،

فقال لأصحابه: احملوا أخرى جعلت فداكم، فوالله لئن عاينت أميرهم لأقتلنه أو أُقتل دونه. إنّه ليس بعد الصبر إلا النصر! ثم حمل وحمل أصحابه، فانفرجت خيل الشام عن مسلم بن عقبة ومعه نحو خمسمائة راجل جثاة على الركب مشرعي الأسنة نحو القوم، ومضى الفضل كما هو نحو راية مسلم فضرب رأس صاحبها، فقط المغفر وفلق هامته وخر ميتاً، وقال: خذها مني وأنا ابن عبد المطلب! وظن أنّه مسلم، فقال: قتلت طاغية القوم ورب الكعبة! فقال: أخطأت أستك الحفرة! وإنما كان ذلك غلاماً رومياً وكان شجاعاً، فأخذ مسلم رايته وحرض أهل الشام وقال: شدوا مع هذه الراية. فمشى برايته وشدت تلك الرجال أمام الراية، فصرع الفضل بن عباس، فقتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عقبة إلا نحو من عشرة أذرع، وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف[1].

وأقبلت خيل مسلم ورجالته نحو ابن الغسيل، وهو يحرض أصحابه ويذم أهل المدينة، ويقدم أصحابه إلى ابن الغسيل، فلم يقدم عليهم للرماح التي بأيديهم والسيوف، وكانت تتفرق عنهم، فنادى مسلمٌ الحصين بن نمير وعبد الله بن عضاة الأشعري وأمرهما أن ينزلا في

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٩٠.

جندهما، ففعلا وتقدما إليهم، فقال ابن الغسيل لأصحابه: إنّ عدوكم قد أصاب وجه القتال الذي كان ينبغي أن يقاتلكم به، وإنّي قد ظننت ألا يلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم إما لكم وإما عليكم، أما إنّكم أهل النصرة ودار الهجرة وما أظن ربكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم، ولا على أهل بلد من بلدان العرب بأسخط منه على هؤلاء الذين يقاتلونكم، وإنّ لكل امرئ منكم ميتة هو ميت بها لا محالة، ووالله ما من ميتة أفضل من ميتة الشهادة، وقد ساقها الله إليكم فاغتنموها.

ثم دنا بعضهم من بعض فأخذ أهل الشام يرموهم بالنبل، فقال ابن الغسيل لأصحابه: علام تستهدفون لهم! من أراد التعجيل إلى الجنة فليلزم هذه الراية. فقام إليه كل مستميت فنهض بعضهم إلى بعض فاقتتلوا أشد قتال رؤي لأهل هذا القتال، وأخذ ابن الغسيل يقدم بنيه واحداً واحداً حتى قتلوا بين يديه وهو يضرب بسيفه ويقول:

بعداً لمن رام الفساد وطغى — وجانب الحق وآيات الهدى

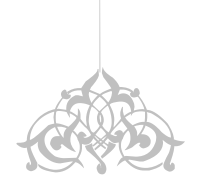
لا يبعد الرحمن إلا من عصى

ثم قتل وقتل معه أخوه لأمّه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس، فقال: ما أحب أنّ الديلم قتلوني مكان هؤلاء القوم! وقتل معه عبد الله

ابن زيد بن عاصم ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري: فمر به مروان ابن الحكم فقال: رحمك الله! رب سارية قد رأيتك تطيل القيام في الصلاة إلى جنبها[١].

وانهزم الناس، وكان فيمن انهزم محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد ما أبلى.

(١) ذكر ابن الأثير في تاريخه ج٢ ص ١٩٢قال محمد بن عمارة: قدمت الشام في تجارة فقال لي رجل: من أين أنت؟ فقلت: من المدينة. فقال: خبيثة. فقلت: يسميها رسول الله، صلى الله عليه وآله، طيبة وتسميها خبيثة! فقال: إنّ لي ولها لشأناً، لما خرج الناس إلى وقعة الحرة رأيت في المنام أنّي قتلت رجلاً اسمه محمد أدخل بقتله النار، فاجتهدت في أنّي لا أسير معهم فلم يقبل مني، فسرت معهم ولم أقاتل حتى انقضت الوقعة، فمررت برجل من القتلى به رمق فقال: تنح يا كلب! فأنفت من كلامه وقتلته، ثم ذكرت رؤياي فجئت برجل من أهل المدينة يتصفح القتلى، فلما رأى الرجل الذي قتلته قال: إنا لله، لا يدخل قاتل هذا الجنة. قلت: ومن هذا؟ قال: هو محمد بن عمرٍو بن حزم ولد على عهد رسول الله، صلى الله عليه وآله، فسماه محمداً وكناه أبا عبد الملك؛ فأتيت أهله فعرضت عليهم أن يقتلوني فلم يفعلوا، وعرضت عليهم الدية فلم يأخذوا.



الجريمة العظمى

وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال، فأفزع ذلك من بها من الصحابة. فخرج أبو سعيد الخدري حتى دخل في كهف الجبل، فتبعه رجل من أهل الشام، فاقتحم عليه الغار، فانتضى أبو سعيد سيفه يخوف به الشامي، فلم ينصرف عنه، فعاد أبو سعيد وأغمد سيفه وقال: { لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ } المائدة: ٢٨. فقال: من أنت؟ قال: أنا أبو سعيد الخدري. قال: صاحب رسول الله، صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم. فتركه ومضى.

وقيل: إنّ مسلماً لما نزل بأهل المدينة خرج إليه أهلها بجموع كثيرة وهيئة حسنة، فهابهم أهل الشام وكرهوا أن يقاتلوهم، فلما رآهم مسلم، وكان شديد الوجع، سبهم وذمهم وحرضهم، فقاتلوهم.

فبينما الناس في قتالهم إذ سمعوا تكبيراً من خلفهم في جوف المدينة، وكان سببه أنّ بني حارثة أدخلوا أهل الشام المدينة فانهزم الناس، فكان من أُصيب في الخندق أكثر ممن قتل.

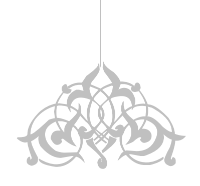
ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد على أنّهم خول له يحكّم في دمائهم وأموالهم وأهليهم من شاء، فمن امتنع من ذلك قتله، وطلب الأمان ليزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود، ولمحمد بن أبي الجهم بن حذيفة، ولمعقل بن سنان الأشجعي، فأُتي بهم بعد الوقعة بيوم، فقال: بايعوا على الشرط.

فقال القرشيان: نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله. فضرب أعناقهما. فقال مروان: سبحان الله! أتقتل رجلين من قريش أتيا بأمان؟ فطعن بخاصرته بالقضيب، فقال: وأنت والله لو قلت بمقالتهما لقتلتك! وجاء معقل بن سنان فجلس مع القوم فدعا بشراب ليسقى، فقال له مسلم: أي الشراب أحب إليك؟ قال: العسل. قال: اسقوه، فشرب حتى ارتوى، فقال له: أرويت؟ قال: نعم. قال: والله لا تشرب بعدها شربة إلا في نار جهنم. فقال: أنشدك الله والرحم! فقال له: أنت الذي لقيتني بطبرية ليلة خرجت من عند يزيد فقلت: سرنا شهراً، ورجعنا شهراً، وأصبحنا صفراً، نرجع إلى المدينة فنخلع هذا الفاسق ابن الفاسق

ونبايع لرجل من المهاجرين أو الأنصار! فيم غطفان وأشجع من الخلق والخلافة! إنّي آليت بيمين لا ألقاك في حرب أقدر منه على قتلك إلا فعلت. ثم أمر به فقتل.

وأُتي بيزيد بن وهب، فقال له: بايع. قال: أبايعك على الكتاب والسنة. قال: اقتلوه. قال: أنا أبايعك! قال: لا والله، فتكلم فيه مروان لصهر كان بينهما، فأمر بمروان فوجئت عنقه ثم قتل يزيد[١].

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٩١



حرم الله وحرم رسوله في الهتك سيّان

فلما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها شخص بمن معه نحو مكة يريد ابن الزبير ومن معه، واستخلف على المدينة روح بن زنباع الجذامي، وقيل: استخلف عمرو بن مخرمة الأشجعي، فلما انتهى إلى المشلل نزل به الموت، وقيل: مات بثنية هرشى، فلما حضره الموت أحضر الحصين بن النمير وقال له: يابن برذعة الحمار! لو كان الأمر إليّ ما وليتك هذا الجند، ولكن أمير المؤمنين ولاك. خذ عني أربعاً: أسرع السير، وعجل المناجزة، وعم الأخبار، ولا تمكن قرشياً من أُذنك. ثم قال: اللهم إني لم أعمل قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله عملاً أحب إليّ من قتلي أهل المدينة ولا أرجى عندي في الآخرة.(١)

(١) قد ورد في الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (المدينة حرم ما بين عاثر إلى كذا. من أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة ←

فلما مات سار الحصين بالناس فقدم مكة لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين وقد بايع أهلها وأهل الحجاز عبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه، ولحق به المنهزمون من أهل المدينة، وقدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في الناس من الخوارج يمنعون البيت، وخرج ابن الزبير إلى لقاء أهل الشام ومعه أخوه المنذر، فبارز المنذر رجلاً من أهل الشام فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربةً مات منها، ثم حمل أهل الشام عليهم حملةً انكشف منها أصحاب عبد الله، وعثرت بغلة عبد الله فقال: تعساً! ثم نزل فصاح بأصحابه، فأقبل إليه المسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف فقاتلا حتى قتلا جميعاً، وضاربهم ابن الزبير إلى الليل ثم انصرفوا عنه. هذا في الحصر الأول.

ثم أقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين يوم السبت رموا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطارةٌ مثل الفنيق المزبد ... نرمي بها أعواد هذا المسجد

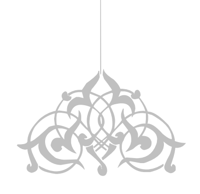
(وقدم الحصين بن نمير مكة فناوش ابن الزبير الحرب في الحرم،

والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً) فما أجرأ مسرفاً هذا على الله ورسوله.ثم يزعم أنّه يرجو بجريمته هذه الثواب عند الله.

ورماه بالنيران حتى أحرق الكعبة. وكان عبد الله بن عمير الليثي قاضي ابن الزبير، إذا تواقف الفريقان قام على الكعبة، فنادى بأعلى صوته: يا أهل الشام! هذا حرم الله الذي كان مأمناً في الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد، فاتقوا الله، يا أهل الشام! فيصيح الشاميون: الطاعة الطاعة! الكرة الكرة! الرواح قبل المساء! فلم يزل على ذلك حتى أُحرقت الكعبة، فقال أصحاب ابن الزبير: نطفئ النار، فمنعهم، وأراد أن يغضب الناس للكعبة، فقال بعض أهل الشام إنّ الحرمة والطاعة اجتمعتا، فغلبت الطاعة الحرمة. وكان حريق الكعبة في سنة ثلاث وستين). [1]

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج١ص٢١٠.



من سوء أعماله بتر الله عمره

وأقام أهل الشام يحاصرون ابن الـزبير حتى بلغهـم نعـي يزيـد بـن معاوية لهلال ربيع الآخر[1].

وفي تاريخ اليعقوبي: (وتوفي يزيد بـن معاويـة في صـفر سـنة أربـع وستين بموضع يقال له حوارين وحمل إلى دمشق، فدفن بها)[2].

وقد كانت ظروف موت يزيد غامضة لم يـذكر المؤرخـون شـيئاً عـن ملابساتها، ولذا ترى أنّهم يمرون عليه مروراً عابراً لا يتعدى بضع كلمات.

حقائق

وهنا نشير إلى حقائق حاول ابن الأثير وأمثاله إغفالها عمداً لكي لا تسود صور رجالاتهم وأوليـائهم ولا يظهـرون علـى حقيقتـهم الكاملـة،

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص١٩٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج١ص٢١٠.

وسنشير إلى من ذكرها:

١-ذكر ابن حزم في جوامع السيرة قائلاً: أغزى يزيد الجيوش إلى المدينة، حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلى مكة، حرم الله تعالى، فقتل بقايا المهاجرين والأنصار يوم الحرة. وهي أيضاً أكبر مصائب الإسلام وخرومه، لأنّ أفاضل المسلمين وبقية الصحابة وخيار المسلمين من جلة التابعين قتلوا جهراً ظلماً في الحرب وصبراً. وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وراثت وبالت في الروضة بين القبر والمنبر، ولم تصلّ جماعة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله، ولا كان فيه أحد.[١]

٢- وذكر الذهبي في كتابه (العبر) في أحداث سنة ثلاث وستين: فيها كانت وقعة الحرة، وذلك أنّ أهل المدينة خرجوا على يزيد لقلة دينه. فجهز لحربهم جيشاً عليهم مسلم بن عقبة. فالتقوا بظاهر المدينة لثلاث بقين من ذي الحجة. فقتل من أولاد المهاجرين والأنصار ثلاث مئة وست أنفس.

وقتل من الصحابة: معقل بن سنان الأشجعي، وعبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، وعبد الله بن زيد بن عاصم المازني الذي

---

(١) جوامع السيرة لابن حزم ج١ ص ٣٥٧.

حكى وضوء النبي صلى الله عليه وآله.

وممن قتل يومئذ: محمد بن ثابت بن قيس بـن شماس. ومحمـد بـن عمرو بن حزم، ومحمد بن أبي جهم بن حذيفة ومحمد بن أبي بن كعـب. ومعاذ بن الحارث أبو حليمة الأنصاري الذي أقامه عمر يصلي التـراويح بالناس. وواسع بن حبان الأنصاري. ويعقوب ولد طلحـة بـن عبيـد الله التيمي. وكثير بن أفلح أحد كتاب المصاحف الـتي أرسـلها عثمـان. وأبـو أفلح مولى أبي أيوب.

ثم قال بعدها: وأما عبد الله بن الزبير فإنّه كـان قـد أوى إلى مكـة ولم يبايع يزيـد.فحاصـره أصـحاب يزيـد ونـصبوا المنجنيـق علـى الكعبـة ورموها بالنار، واحترق فيهـا ممـا احتـرق قرنـا كـبش إسماعيـل. وقتـل في الحصار بحجر المنجنيق المسور بن مخرمة بـن نوفـل الزهـري، ولـه صـحبة ورواية وشرف[1].

٣- وقال ابن حجر في (تعجيل المنفعة): ثم إنّ أهل المدينة خلعـوا يزيد فجهز إليهم الجيوش فكانت وقعة الحرة بالمدينة فقتل فيها عدد كـثير من الصحابة والتـابعين واسـتبيحت المدينـة لجهلـة أهـل الـشام ثم سـارت الجيوش إلى مكة لقتال ابن الزبير فحاصروه بمكة وأحرقت الكعبة بعد أن

(١) العبر للذهبي ج١ ص ١١-١٢.

رميت بالمنجنيق ففجئهم موت يزيد وكانت وفاته في نصف شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، ولكي لا يخلو ذكر يزيد من كلمة إطراء يقول: وكان يزيد شجاعاً جواداً شاعراً مجيداً وأُمّه ميسون بنت بحدل بموحدة ثم مهملة وزن جعفر الكلبية وكان منهمكاً في لذّاته. ومقته أهل الفضل بسبب قتله الحسين ثم بسبب وقعة الحرة والله المستعان[١].

٤ - وأما المسعودي فإنّه أشار كناية إلى قبائح يزيد التي اقترفها بحق المدينة قائلاً: ولما نزل بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب والرق والسبي وغير ذلك مما عنه أعرضنا من مُسْرفٍ خرج عنها يريد مكة في جيوشه من أهل الشام، ليوقع بابن الزبير وأهل مكة، بأمر يزيد، وذلك في سنة أربع وستين[٢].

٥ - وفي تاريخ أبي الفدا: قال فجاء مسلم بن عقبة فأوقع بالمدينة وقتل أربعة آلاف رجل من أفناء الناس وسبعين رجلاً من الأنصار وبقر عن بطون النساء وأباح الحرم وأنهب المدينة ثلاثة أيام وبايعهم على أنّهم فيء ليزيد وجعل يفعل فيهم ما شاء وكانت الوقعة بالحرة وهي ضاحي المدينة وبتلك سميت الحرة وسموا مسلم بن عقبة مسرف بن عقبة[٣].

---

(١) تعجيل المنفعة لابن حجر ج١ ص٤٥٣.

(٢) مروج الذهب ج١ ص ٣٧٨.

(٣) تاريخ أبي الفدا ج١ ص٣٣٢.

٦- وقال ابن التغريبردي: أنّ يزيد بن معاوية بعث إليها -أي المدينة- جيشاً عليهم مسلم بن عقبة المري حين خالفوا عليه، وأمره بهتك حرمة المدينة، وكان مع مسلم اثنا عشر ألفاً، فوصل مسلم المذكور إلى المدينة وفعل فيها ما لا يفعله مسلم، فإنّه قتل في هذه الوقعة خلقاً من المهاجرين والأنصار وانتهكت حرمة المدينة وانتهبت، وافتضت فيها ألف عذراء؛ واستشهد فيها عبد الله بن حنظلة الغسيل في ثمانية من بيته، وله صحبة ورواية؛ وقتل فيها أيضاً معقل بن سنان الأشجعي صبراً، واستشهد أيضاً عبد الله بن زيد بن عاصم المازني النجاري، وله صحبة ورواية؟ واستشهد فيها أيضاً أفلح مولى أبي أيوب، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري: ولد في حياة النبي صلى الله عليه وآله، ومحمد بن ثابت بن قيس بن شماس: حنكه رسول الله صلى الله عليه وآله بريقه، ومعاذ بن الحارث الأنصاري أبو حليمة القاري الذي أقامه عمر يصلي التراويح في شهر رمضان، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وله ست سنين - ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة، ومحمد بن أبي حذيفة العدوي ؛ كل هؤلاء قتلوا يومئذ؛ وهذا مما اختصرته من مقالة الذهبي.

وقد ذكر هذه الواقعة أيضاً أبو المظفر، وساق فيها أُموراً شنيعة للغاية؛ وفيما ذكرناه كفاية يعرف منها حال مسلم بن عقبة المذكور.

ويكفيك أنّه من يومئذ سمي مسلم المذكور مسرف بن عقبة[١].

٦- وفي تاريخ اليعقوبي: وأباح حرم رسول الله، حتى ولدت الأبكار لا يعرف من أولدهن، ثم أخذ الناس على أن يبايعوا على أنّهم عبيد يزيد بن معاوية، فكان الرجل من قريش يؤتى به، فيقال: بايع آية إنّك عبد قن ليزيد، فيقول: لا! فيضرب عنقه[٢].

٧- وذكر العصامي: (وأما جابر بن عبد اللّه الأنصاري، فخرج في ذلك اليوم يطوف في أزقة المدينة، وهو أعمى، والبيوت تنتهب وهو يعثر في القتلى، ويقول: تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له قائل: ومن أخاف رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من أخاف المدينة، فقد أخاف ما بين جنبي»، فحملوا عليه ليقتلوه، فأخذه منهم مروان بن الحكم، وأدخله بيته.

وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة رجل.

وقيل: من أخلاط الناس عشرة آلاف، سوى النساء والصبيان،

(١) النجوم الزاهرة لابن تغريبردي ج١ ص٦٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج١ ص٢٠٩.

ونهبوا وأفسدوا، واستحلوا الحرم، وعطلت الصلوات في مسجده - عليه الصلاة والسلام - ولم يبقَ في المسجد إلا سعيد بن المسيب جعل نفسه ولهاناً خبلاً، فتركوه، وكان يقول: كنت أسمع عند مواقيت الصلاة همهمة من الحجرة المطهرة. وافتض فيها ألف عذراء، وإنّ مفتضَّها فعل ذلك أمام الوجه الشريف، والتمس ما يمسح به الدم، فلم يجد، ففتح مصحفاً قريباً منه، ثم أخذ من أوراقه ورقة، فتمسح بها، نعوذ بالله ما هذا إلا صريح الكفر وأنتنه.

ومن ذلك أنّ امرأة من الأنصار دخل عليها رجل من أهل الشام، وهي ترضع ولدها، وقد أخذ ما كان عندها، فقال لها: هاتي الذهب، وإلا قتلتك وقتلت ابنك، فقالت: ويحك إن قتلته، فأبوه أبو كبشة صاحب رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وأنا من النسوة اللاتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وآله، وما خنت اللّه في شيء بايعت رسوله عليه، فأخذ الصبي من حجرها وثديها في فيه، وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه في الأرض، والمرأة تقول: لو كان عندي شيء أفديك به يا ابني لفديتك، قال: فما خرج من البيت حتى اسودَ نصف وجهه،وصار مثلة في الناس[1].

---

(١) سمط النجوم العوالي للعصامي ج٢ ص ٩٢ثم وجهه بالقول: قال المؤلف: ←

٨- وعن ابن منظور: عن مغيرة، قال: أنهب مسرف بن عقبة المدينة ثلاثة أيام، وأنه افتض منها ألف عذراء، وكان قدوم مسلم المدينة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين، فأنهبوها ثلاثاً حتى رأوا هلال المحرم(١).

٩- وذكر السيوطي في تاريخه: (وفي سنة ثلاث وستين بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً وأمرهم بقتالهم ثم المسير إلى مكة لقتال ابن الزبير فجاءوا وكانت وقعة الحرة على باب طيبة وما أدراك ما وقعة الحرة ذكرها الحسن مرة فقال والله ما كاد ينجو منهم أحد قتل فيها خلق من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم ونهبت المدينة وافتض فيها ألف عذراء فإنا لله وإنا إليه راجعون قال صلى الله عليه وآله " من أخاف أهل المدينة أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين " رواه مسلم.

وكان سبب خلع أهل المدينة له أن يزيد أسرف في المعاصي، وأخرج الواقدي من طرق أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل قال: والله ما

وأحسب هذه المرأة جدة لهذا الصبي لا أُماً له: إذ يبعد في العادة أن تبايع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة، وتكون يوم الحرة في سن من يُرّضعُ.

(١) مختصر تاريخ دمشق ج٧ص٣٨٣.

خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء إنّه رجل ينكح أُمَّهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة).[١]

١٠- وأخرج الذهبي في تاريخه: (وقال جرير بن حازم، عن الحسن، أنّه ذكر الحرة فقال: والله ما كاد ينجو منهم أحد، ولقد قتل ابنا زينب بنت أُمِّ سلمة، فأتيت بهما فوضعتهما بين يديها، فقالت: والله إنّ المصيبة علَيَّ فيكما لعظيمة، وهي في هذا - وأشارت إلى أحدهما - أعظم منها في هذا - وأشارت إلى الآخر -، لأنّ هذا بسط يده، وأما هذا فقعد في بيته، فدخل عليه فقتل، فأنا أرجو به.

وقال جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة قال: نهب مسرف بن عقبة المدينة ثلاثاً، وافتض فيها ألف عذراء.

قال يزيد بن الهاد، عن أبي بكر بن المنكدر، عن عطاء بن يسار، عن السائب بن خلاد، أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». رواه مسلم بن أبي مريم، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، عن عطاء عن السائب)[٢].

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٨٥.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص ٦٣.

١١- وعن ابن خلكان: (كان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في مدة ولايته قد سير إلى المدينة جيشاً مقدمه مسلم بن عقبة المري فنهبها، وخرج أهلها إلى هذه الحرة، فكانت الواقعة بها، وجرى فيها ما يطول شرحه وهو مسطور في التواريخ، حتى قيل إنّه بعد وقعة الحرة ولدت أكثر من ألف بكر من أهل المدينة، ممن ليس لهن أزواج، بسبب ما جرى فيها من الفجور).[1]

١٢- وقال ابن كثير في تاريخه: وكان سبب وقعة الحرة أنّ وفداً من أهل المدينة قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن جائزهم، وأطلق لأميرهم - وهو عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر - قريباً من مائة ألف، فلما رجعوا ذكروا لأهليهم عن يزيد ما كان يقع منه من القبائح في شربه الخمر، وما يتبع ذلك من الفواحش التي من أكبرها ترك الصلاة عن وقتها، بسبب السكر، فاجتمعوا على خلعه، فخلعوه عند المنبر النبوي، فلما بلغه ذلك بعث إليهم سرية، يقدمها رجل يقال له مسلم بن عقبة، وإنّما يسميه السلف: مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غضون هذه الأيام بشراً كثيراً حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وزعم بعض علماء السلف أنّه قتل في غضون

(١) وفيات الأعيان ج٦ ص٢٧٦.

ذلك ألف بكر فالله أعلم[١].

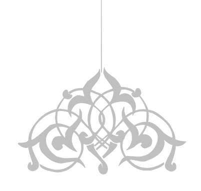
١٣-ثم أباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثاً فقتل ونهب وسبى. فقيل: إنّ الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها ويقول: لعلها قد افتضت في وقعة الحرة.[٢]

وغير ما ذكرنا من أُمَّهات الكتب التاريخية التي تسرد مخازي يزيد لعنة الله عليه وجيشه المستهتر بالمقدسات والمنتهك للحرمات يقودهم عدو الله ورسوله مسرف ابن عقبة كما سماه المؤرخون لإسرافه في دماء المهاجرين والأنصار من بقية الصحابة والتابعين والقراء، ما يدمي القلوب ويقرح الجفون، ويحير العقول التي تعجب لهذا الكم الهائل من الحقد والعداء لرسول الله ولدار هجرته.

---

(١) البداية والنهاية ج٦ ص٢٦٢

(٢) الآداب السلطانية ج١ص٤٣



همج رعاع

والأعجب من ذلك الطاعة العمياء لأوامر يزيد وطغاته الإرهابيين من قبل جيش أهل الشام وجهالهم في التجاسر على كل مقدس، وكيف لا يكونون كذلك وهذا معاوية بن أبي سفيان (وقد دخل عليه رجل من أهل الكوفة على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتي، أُخذت مني بصفين، فارتفع أمرهما إلى معاوية، وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بينة يشهدون أنّها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي، وأمره بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك اللّه! إنّه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه، وبَرهُ، وأحسن إليه، وقال له: أبلغ علياً إنّي أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل، وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنّه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم

الأربعاء!!، وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها، وركنوا إلى قول عمرو بن العاص: إنّ علياً هو الذي قتل عمّار بن ياسر حين أخرجه لنصرته، ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لَعْنَ عليٍّ سُنَة، ينشأ عليها الصغير؟ ويهلك عليها الكبير).[1]

بل إنّ هؤلاء لايعرفون عن نبيّ هذه الأُمّة شيئاً، إذ يذكر المسعودي في تاريخه: (وقد كان عبد اللّه بن علي حين خرج في طلب مروان إلى الشام، وكان من قصة مروان ومقتله ما قد ذكر، ونزل عبد اللّه بن علي الشام، ووجه إلى أبي العباس السفاح أشياخاً من أهل الشام من أرباب النعم والرياسة من سائر أجناد الشام فحلفوا لأبي العباس السفاح أنّهم ما علموا لرسول اللّه صلى الله عليه وآله، قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أُمية حتى وليتم الخلافة، فقال في ذلك إبراهيم بن المهاجر البَجَلِيُّ:

أيها الناس اسمعوا أخبركم ... عجباً زادَ على كلِّ العجب

عجباً من عبد شمس، إنّهم ... فتحوا للناس أبواب الكذب

ورثوا أحمد فيما زعموا ... دون عباس بن عبد المطلب

كذبوا واللّه ما نعلمه ... يحرز الميراث إلا من قرب[2]

(١) مروج الذهب ج١ ص ٣٦٢.

(٢) نفس المصدر السابق.

والظاهر أنّ هذه سياسة اتبعها الأُمويون في عزل أهل الشام عن المجتمع الإسلامي لكي لا يتعرفوا على الحقائق ويفهموا ما يدور حولهم، فيضمنوا طاعتهم على باطلهم قبل حقهم إنْ كان لهم حق، ولذلك يوصي معاوية ابنه يزيد في أهل الشام قائلاً: (وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإنّ عزل عامل أيسر من أن يشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن رابك من عدوك شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنّهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم)(١).

ثم يأتي بعد ذلك من يحاول أن يبرئ هؤلاء القتلة والمجرمين ويتبرع لهم بمكان في الجنة في لحظة من لحظات الكرم والحلم الأموي المشهور فيروى عن أبي هريرة: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "أربع ملاحم في الجنة: الجمل في الجنة، وصفين في الجنة، وحرة في الجنة"، وكان يكتم الرابعة)(٢)، وعلى ذلك يكون مسرف بن عقبة وجلادوه من أهل الجنة مع ضحاياهم، سواء بسواء، فأي عدل هذا الذي يساوي بين

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ص١٤٨ المنتظم ج٢ص١٩٠ تاريخ الرسل والملوك ج٣ص٢٢١ الآداب السلطانية ج١ص٤١ تاريخ ابن خلدون ج٣ص١٩.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج١ ص ٣٣.

الضحية والجلاد!! وليت الراوي أرشدنا إلى الرابعة التي كان يكتمها، وما كتمها إلا لأمر عظيم فلربما كانت معركة بدر التي قتل فيها أسلاف يزيد كفاراً يعبدون الأصنام، فأدخلوا الجنة إكراماً ليزيد وأبيه معاوية (خال المؤمنين)!!

وقد نجد من يرشدنا إلى مخرج من هذا الإشكال المعقد فيقول: لا يمكن التسوية بين الخصوم، فإنّ جند يزيد في الجنة لأنّهم على الحق وأهل المدينة على باطل لأنّهم خلعوا بيعة الخليفة يزيد بن معاوية فصاروا بلا حجة يوم القيامة فهم في النار، ويروون لنا أخباراً جهزها لهم رواة البلاط مثل ما روي عن (ابن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من نزع يَداً من طاعة، لم يكن له حجة يوم القيامة، ومن مات مفارقاً للجماعة، فإنه يموت ميتة جاهلية»)[1]، وما روي عن (أبي هريرة قال: لا تسبوا أهل الشام، فإنّهم جند الله المقدم)[2]، وكيف لا يكونون جند الله وقد قاتلوا أولياء الله ومثلوا بهم وقطعوا رؤوسهم وانتهكوا حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وأحرقوا بيته ورموه بالمنجنيقات؟؟؟!!!.

---

(١) سمط النجوم العوالي للعصامي ج٢ ص٩٢عن الذهبي.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج١ ص ٣٣.



الفصل الثالث

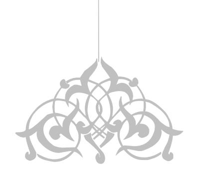
ضحايا الحرة ... موكب الشهادة



عرفنا في ما سبق أنّ جيش يزيد قد عاث في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله فساداً فقتل المهاجرين والأنصار من بقية الأصحاب والتابعين من القراء والفقهاء والصالحين وانتهك المقدسات، بل وجالت خيلهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فراثت وبالت بين قبر النبي الأشرف ومنبره، ثم أُبيحت المدينة للعسكر ثلاثة أيام فسلبوا ونهبوا وانتهكوا أعراض النساء المسلمات، وافتض فيها ألف عذراء كما ينقل الذهبي في تاريخه[1]، وبلغت الجريمة ببشاعتها حدّاً أنّ امرأة من قريش تطوف – بالبيت- فعرض لها أسود فعانقته فقبلته، فقلت –والرواية للمدائني بسنده عن أُمّ الهيثم ابنة يزيد -: يا أَمَة الله أتفعلين هذا بهذا الأسود؟ فقالت: هو ابني وقع عليَّ أبوه يوم الحرة فولدت هذا[2].

(١) تاريخ الإسلام ج٢ ص٦٣.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ج٢ ص٢٠٦.



الثمن باهض

ولمعرفة بشاعة الجريمة وحجم المصاب اللّذين أصابا به أهل المدينة سنحاول التعرف على مجمل حجم الخسائر البشرية التي ذهبت في هذه الوقعة الغير متكافئة الأطراف، فعن العصامي قال: وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة رجل.

وعن ابن الجوزي في منتظمه قال: وعن المدائني، عن شيخ من أهل المدينة، قال: سألت الزهري: كم كانت القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي، وممن لا يعرف من عبد وحر وامرأة عشرة آلاف، وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام.[1]

وقال الذهبي في كتابه (العبر): فقتل من أولاد المهاجرين والأنصار

---

(١) المنتظم لابن الجوزي ج٢ ص٢٠٦.

ثلاث مئة وست أنفس.

وقتل من الصحابة: معقل بن سنان الأشجعي، وعبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، وعبد الله بن زيد بن عاصم المازني الذي حكى وضوء النبي صلى الله عليه وآله[١].

وفي تاريخ أبي الفدا: قال فجاء مسلم بن عقبة فأوقع بالمدينة وقتل أربع آلاف رجل من أفناء الناس وسبعين رجلاً من الأنصار[٢].

ثم سنحاول إحصاء أسماء بعض الشهداء من الصحابة وأبناء الصحابة ممن استشهدوا في واقعة الحرة: -

١- بشير بن النعمان بن عبيد - وهو مقرن - بن أوس بن مالك الأنصاري، قتل النعمان يوم اليمامة، وقتل بشير يوم الحرة[٣].

٢- سعيد بن أبي حنة قتل يوم الحرة، هو والد ضمرة بن سعيد وهو جد موسى بن ضمرة بن سعيد بن أبي حنة، أبوه أبو حنة عمرو بن غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء شهد أُحداً مع أبيه[٤].

---

(١) العبر للذهبي ج١ ص ١١.

(٢) تاريخ أبي الفدا ج١ ص٣٣٢.

(٣) الإكمال لابن ماكولا / ج١ ص ٦٣.

(٤) الإكمال لابن ماكولا / ج١ ص ١٨١.

٣- ومحمد وسليمان ابنا عقبة بن دبية بن جابر من بني سليم بن منصور من حلفاء أبي طالب - ذكرهما المدائني فيمن قتل يوم الحرة[١].

٤- مصعب بن عمير بن أبي عزيز بن عمير قتل يوم الحرة، عم أبيه الصحابي مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين يوم أُحد واستشهد في أُحد بعد أن قطعت يداه[٢].

٥- وقتل محمد ويحيى وعبد الله بنو ثابت بن قيس بن شماس يوم الحرة وكان ثابت بن قيس خطيب الأنصار ويقال له خطيب رسول الله صلى الله عليه وآله كما يقال الحسان شاعر النبي صلى الله عليه وآله[٣] ومحمد أخو عبد الله بن حنظلة لأُمّه وقتل يوم الحرة هو وأولاده: عبد الله وسليمان ويحيى وقال خليفة: قتل هو وأخواه: عبد الله ويحيى يوم الحرة[٤].

٦- عمر ومحمد ويزيد أبناء ثابت بن قيس بن الخطيم بن عمرو بن يزيد بن سواد بن ظفر النجاري الظفري اسمه كعب بن الخزرج مذكور في الصحابة[٥].

---

(١) الإكمال لابن ماكولا / ج١ ص ٢٧٧.

(٢) الإكمال لابن ماكولا / ج١ ص ٤٨٧، الإصابة لابن حجر ج٢ص٣٥٤.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ص٦٠.

(٤) الإصابة لابن حجر ج٣ص١٣١.

(٥) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ص٦٢، ص٤٩٨.

٧-وقتل عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري، وحنظلة هذا الصحابي الجليل المعروف بغسيل الملائكة، وكانت الأنصار قد بايعت عبد الله يومئذ وبايعت قريش عبد الله بن مطيع وكان عثمان بن محمد ابن أبي سفيان قد أوفده إلى يزيد بن معاوية فلما قدم على يزيد فرأى منه ما لا يصلح فلما انصرف خلعه في جماعة أهل المدينة[(١)].

٨- يزيد بن عبد الله بن زمعة قتله مسرف بن عقبة صبراً يوم الحرة، وذلك أنّه أتى به مسرف بن عقبة أسيراً. فقال له: بايع على أنّك خول لأمير المؤمنين، يعني يزيد يحكم في دمك ومالك. فقال: أبايعه على الكتاب والسنة، وأنا ابن عم أمير المؤمنين يحكم في دمي وأهلي ومالي، وكان صديقاً ليزيد وصفياً له فلما قال ذلك قال مسرف: اضربوا عنقه فوثب مروان فضمه إليه لما كان يعرف بينه وبين يزيد. فقال مروان: نعم يبايعك على ما أحببت. وقال مسرف: والله لا أقبله أبداً. وقال: إن تنحى عنه مروان وإلا فاقتلوهما معاً، فتركه مروان وضربت عنق يزيد ابن عبد الله بن زمعة وقتل يومئذٍ إخوته في القتال فيقال: إنّه قتل لعبد الله بن زمعة يوم الحرة بنون. ومن ولد عبد الله بن زمعة كثير بن عبد الله

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ص٢٧٠، الإصابة لابن حجر ج٢ص١١٩، الوافي بالوفيات للصفدي ج٥ ص٣٨٥.

ابن زمعة وهو جد أبي البختري، والقاضي وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة[(١)].

٩- عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب القرشي الهاشمي يكنى أبا محمد. قال الواقدي: أدرك النبي صلى الله عليه وآله ولم يحفظ عنه شيئاً. ومات سنة أربع وثمانين. وقال العدوي: قتل يوم الحرة وهو أخو الحارث بن نوفل وكان عبد الله بن نوفل يشبه بالنبي صلى الله عليه وآله[(٢)].

١٠- محمد بن أبي بن كعب الأنصاري. ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يكنى أبا معاذ[(٣)].

١١- محمد بن أبي جهم بن حذيفة بن غنم العدوي. ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله[(٤)].

١٢- محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري. ولد في سنة عشر من الهجرة بنجران وأبوه عامل لرسول الله صلى الله عليه وآله. وقيل: ولد

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ص٢٧٦.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ص٣٠٦

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ص٤٢٤، لسان الميزان ج٢ ص٤٨٢

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ص٤٢٥

قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بسنتين سماه أبوه محمداً وكناه أبا سليمان، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله: " سمه محمداً، وكنه أبا عبد الملك "، ففعل، فلا تكاد تجد في آل عمرو بن حزم مولوداً يسمى محمداً إلا وكنيته أبو عبد الملك. وكان محمد بن عمرو بن حزم فقيهاً روى عنه جماعة من أهل المدينة، ويروي عن أبيه وغيره من الصحابة. وروي عنه أيضاً أنه قال: كنت أتكنى أبا القاسم عند أخوالي بني ساعدة، فنهوني فحولت كنيتي إلى أبي عبد الملك. قتل يوم الحرة، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وكانت الحرة سنة ثلاث وستين. ويقال: إنه قتل يوم الحرة مع محمد بن عمرو بن حزم ثلاثة عشر رجلاً من أهل بيته، يقال: إنّه كان أشد الناس على عثمان المحمدون: محمد بن أبي بكر، محمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن عمرو بن حزم[1].

١٣- معاذ بن الحارث الأنصاري، من بني النجار. شهد الخندق. وقد قيل: إنّه لم يدرك من حياة النبي صلى الله عليه وآله إلا ست سنين، ويكنى أبا حليمة. وقال الطبري: يكنى أبا الحارث يعرف بالقاري. مدني. روى عنه عمران بن أبي أنس. غلب عليه معاذ القاري. وعرف بذلك

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ص٤٢٨.

وهو الذي أقامه عمر بن الخطاب فيمن أقام في شهر رمضان ليصلي التراويح وكان ممن شهد يوم الجسر مع أبي عبيد ففر حين فروا فقال عمر: أنا لهم فئة. روى عنه نافع وسعيد المقبري وعبد الله بن الحارث البصري[١].

١٤- معقل بن سنان الأشجعي يكنى أبا عبد الرحمن وقيل: أبا يزيد. وقيل: يكنى أبا محمد وقيل: أبا سنان وهو معقل بن سنان بن مظهر بن عركي بن فتيان بن سبيع بن بكر بن أشجع. شهد فتح مكة ونزل الكوفة ثم أتى المدينة وكان فاضلاً تقياً شاباً قتل يوم الحرة وقتله مسلم بن عقبة صبراً. وقال محمد بن إسحاق: نوفل بن مساحق هو الذي قتل يوم الحرة معقل بن سنان ومحمد بن أبي جهم بن حذيفة العدوي جميعاً صبراً.

قال أبو عمر: وممن قتل يوم الحرة صبراً فيما ذكر ابن إسحاق والواقدي ووثيمة وغيرهم: الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وأبو بكر بن عبد الله بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وأبو بكر بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأبو بكر بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب ويعقوب بن طلحة بن عبيد الله وعبد الله بن زيد

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ص٤٤١

بن عاصم ومعقل بن سنان ومحمد بـن أبي الجهـم، وابنـا زينـب بنـت أبي سلمة ربيبة رسول الله صلى الله عليه وآله ويزيد بـن عبـد الله بـن زمعـة كل هؤلاء ضربت عنق كل واحد منهم صبراً بأمر مسلم بـن عقبـة لعبـد الله، وزاد القتل يومئذ فيما ذكـروا نيفـاً علـى ثلاثمائـة، كلـهم مـن أبنـاء المهاجرين والأنصار، وفيهم جماعة ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وبلغ قتلى قـريش يومئـذ نحـواً مـن مائـة، وقتلـى الأنـصار والحلفـاء والموالي نحواً من المائتين ونجّى الله أبا سعيد وجابراً وسهل بن سـعد. وفي معقل بن سنان قال القائل:

ألا تلكم الأنـصار تبكـي سـراتها   وأشـجع تبكـي معقـل بـن سـنان[١]

١٥- إبراهيم بن نعـيم بـن النحـام العـدوي: ولـد في عهـد الـنبي صلى الله عليه وآله وذكره ابن سعد أنّ أسامة طلق امرأة له وهـو شـاب في عهد النبي صلى الله عليه وآله فتزوجهـا نعـيم بـن النحـام فولـدت لـه إبراهيم. وذكره البخـاري في تاريخـه وقـال: قتـل يـوم الحـرة وذكـره ابـن حبان في ثقات التابعين[٢].

١٦- بشير بن أبي زيد الأنصاري أحد من جمع القرآن علـى عهـد

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ص٤٥٠.

(٢) الإصابة لابن حجر ج١ص٦١.

رسول الله صلى الله عليه وآله أعني أبا زيد ذكره ابن مندة عن ابن سعد وأنّه قتل يوم الحرة[١].

١٧- ثابت بن مخلد بن زيد بن مخلد بن حارثة بن عمرو الأنصاري الخطمي ذكره ابن شاهين في الصحابة وقال: إنّه قتل يوم الحرة وقال سمعت عبد الله بن سليمان بن الأشعث يقوله[٢].

١٨- سعد وأخوه واسع بن حبان بن منقذ بن عمرو المازني. أُمّه هند بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. قال العدوي: شهد بيعة الرضوان وقتل يوم الحرة[٣]

١٩- عامر بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعوراء بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي. قال الطبري في الذيل له صحبة وشهد الخندق وما بعدها وقتل يوم الحرة[٤].

٢٠- معاذ بن الصمة بن عمرو بن الجموح الأنصاري. قال

---

(١) الإصابة لابن حجر ج١ص١٠٥.

(٢) الإصابة لابن حجر ج١ص١٣١.

(٣) الإصابة لابن حجر ج١ص٤٢٥ ،ج٣ص٢٣٩ ،الوافي بالوفيات ج٧ص٤٤٠.

(٤) الإصابة لابن حجر ج٢ص٨٢.

العدوي: شهد أحداً وما بعدها وقتل يوم الحرة[١].

٢١- عبيد الله - بالتصغير - ابن نوفل بن عدي بن نوفل بن أسد ابن عبد العزى القرشي الأسدي بن أخي ورقة بن نوفل[٢].

٢٢- عبد الله وعبد الرحمن ونضلة وصالح أولاد نهشل بن عمرو ابن عبد الله بن وهب بن سعد بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان ابن محارب بن فهر القرشي ثم المحاربي. ذكره الطبري في الصحابة واستدركه ابن فتحون وذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب وقال: إنّه كان من عظماء قريش ولم يصرح بأن له صحبة[٣].

٢٣- عمرو بن يزيد بن السكن بن امرئ القيس بن زيد بن الأشهل الأنصاري الأشهلي[٤].

٢٤- يزيد بن كعب بن عمرو الأنصاري.ذكره العدوي وقال: صحب النبي صلى الله عليه وآله هو وأبوه وأخوه حبيب واستشهد يزيد وأخوه يوم الحرة واستدركه ابن فتحون[٥].

---

(١) الإصابة لابن حجر ج٣ص١٠٠.

(٢) الإصابة لابن حجر ج٣ص٢٠٥.

(٣) الإصابة لابن حجر ج٣ص٢٠٣.

(٤) الإصابة لابن حجر ج٣ص٢٥٩.

(٥) الإصابة لابن حجر ج٣ص٢٦٣.

٢٥- يعقوب ولد طلحة بن عبيد الله التيمي الصحابي أحد الستة أهل الشورى[1]، ذكره الذهبي وذكر أيضاً في الصفحة التالية: (وأما عبد الله بن الزبير فإنّه كان قد أوى إلى مكة ولم يبايع يزيد. فحاصره أصحاب يزيد ونصبوا المنجنيق على الكعبة ورموها بالنار، واحترق فيها مما احترق قرنا كبش إسماعيل. وقتل في الحصار بحجر المنجنيق المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري، وله صحبة ورواية وشرف).

٢٦- قاضي المدينة عبد الله بن نوفل بن الحارث، أخو الحارث. ولي قضاء المدينة زمن معاوية وكان يشبه النبي صلى الله عليه وآله. لا يحفظ له سماعٌ من النبي صلى الله عليه وآله. قيل: قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين للهجرة، وقيل سنة أربع وثمانين[2].

وغير هؤلاء كثيرون ذكرهم كتب التاريخ والتراجم والطبقات لم يسعنا الوقوف عليهم وذكرهم رحمهم الله ولعن قاتليهم وأعد لهم عذاباً أليماً، فإذا كان من يقتل مؤمناً واحداً عمداً كان مصيره جهنم خالداً فيها، فكيف بمن يقتل هذا العدد من الصالحين والقراء والأصحاب وأبناء الأصحاب والتابعين، بعدما قتل سيد شباب أهل الجنة وأبناءه وإخوته

---

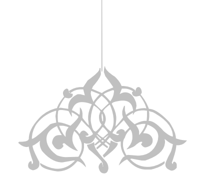
(١) العبر للذهبي ج١ ص ١١.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي ج٦ ص١٦.

وأصحابه، ومثّل بهم وقطع رؤوسهم وساق بنات رسول الله سبايا إلى الشام؟ وهل هذا إلا صريح الكفر وأنتنه؟ وهل يستهان بقول عبد الله ابن حنظلة بن الغسيل إذ قال: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أنْ نرمى بالحجارة من السماء؟[١]

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٨٥



الكفر الصريح

ولا تستغرب إذا سمعت بهذا الكلام من العلماء والمؤرخين عن يزيد بن معاوية، فلقد صرح هو بالكفر في كلامه إذ يتغنى بأبيات الشاعر الكافر ابن الزبعرى التي قالها في معركة أُحد للتشفي من المسلمين، كما نقل ذلك المؤرخون عن يزيد تمثله بتلك الأبيات في موقفين:

أحدهما: حينما وضع رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أصحابه بين يديه، فقد اخرج ذلك ابن الجوزي بسنده قال: (أنبأنا علي بن عبيد الله بن الزغواني قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، عن أبي عبيد الله المرزباني قال: أخبرنا محمد بن أحمد الكاتب قال: أخبرنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال: حدثنا محمد بن أحمد قال: حدثنا محمد بن يحيى الأحمري قال: حدثنا ليث، عن مجاهد قال: جيء برأس الحسين بن عليٍّ، فوضع بين يدي يزيد بن معاوية، فتمثل بهذين البيتين، يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تُشل[(١)]

وفي مقاتل الطالبين لأبي فرج الأُموي الأصفهاني: وقيل: إنه تمثل أيضاً والرأس بين يديه بقول عبد الله بن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من أشياخهم وعدلناه ببدر فاعتدل[(٢)]

فلينظر المؤمن الغيور كيف يتغنى هذا المارق من الدين بأشياخه الذين قتلهم الإسلام بكفرهم ويخاطبهم بأنّه قد ثأر لهم، ثم يسمى عند من يتولاه أميراً للمؤمنين!! وهل بعد هذا الكفر الصريح من كفر أكثر صراحة.

الثاني: لما بعث مسرف ابن عقبة برؤوس شهداء الحرة إلى يزيد تمثل بتلك الأبيات أيضاً ففي العقد الفريد: (وبعث مسلم بن عُقبة برؤوس أهل المدينة إلى يزيد، فلما ألقيت بين يديه جَعل يتمثل بقول ابن الزِّبْعرى يوم أُحد:

ليت أشياخِي ببدرٍ شَهِدُوا جَزَع الخَزْرج من وَقْع الأسَل

---

(١) المنتظم لابن الجوزي ج٢ص١٩٩.

(٢) مقاتل الطالبيين ج١ص٣٤.

لأهلــوا واســتهلوا فرحــاً ولقـــالوا ليزيـــدَ: لا فَـــشَل

فقـال لـه رجـل مـن أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه: ارتددتَ عن الإسلام يا أمير المؤمنين! قال: بلى، نَستغفر الله. قال: والله لا ساكنتُك أرضاً أبداً، وخرج عنه[١].

وإذا كان الاعتراف سيد الأدلة، وقد اعترف الرجل بكفره فلـيس من داعٍ لأن يتجشم أحد عناء الاعتذار لأفعاله إلاّ أن تكون شنشنة مـن أخزم.

وذكر العصامي: (ويقال: إنّه استشهد ببعض أبيات قـصيدة عبـد اللّه بن الزبعرى التي قالها في يوم أُحد التي مطلعها قوله: من الرمل:

يَـا غُـراَبَ الـبَينِ أسمعتَ فَقُـل إنمَـا تَنْطِـقُ شـيئاً قَـدْ فُعِـلْ

ومنها قوله:

ليـــت أشـــياخِي ببـــدرٍ شَـــهِدُوا جَـزَع الخَـزْرج مـن وَقْـع الأسَـل[٢]

الحسين بن عليٍّ عليهما السلام الذي كان وانصرف عمر بن سعد لعنه الله بالنسوة والبقية من آل محمد صلى الله عليه وآله وآلـه ووجههـن إلى ابن زياد لعنه الله فوجههن هذا إلى يزيد لعنه الله وغضب عليـه فلمـا

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج٢ص١٣٩.

(٢) سمط النجوم العوالي للعصامي ج٢ ص٨٢.

مثلوا بين يديه أمر برأس الحسين عليه السلام فأبرز في طست فجعل ينكث ثناياه بقضيب في يده وهو يقول:

يا غراب البين أسمعت فقل	إنما تذكر شيئاً قد فعل
ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حكت بقباه بركها	واستحر القتل في عبد الأشل
لأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
فجزيناهم ببدر مثلها	وأقمنا ميل بدر فاعتدل
لست للشيخين إن لم أنتصم	من بني أحمد ما كان فعل(١)

فإذاً يزيد ومن قبله أبوه معاوية ينتقمون من النبي المصطفى صلى الله عليه وآله في ذريته بما فعل بأشياخهم في بدر وحنين إذ ضرب خراطيمهم على كلمة التوحيد، فآلى أبناء هند التي أكلت كبد حمزة سيد الشهداء ومثلت به، أن يأخذوا بثار أشياخهم ويصفّوا حساباتهم مع آل البيت.

ولا نجد جواباً أبلغ من جواب السيدة زينب ابنة عليٍّ عليهما السلام على وقاحة يزيد إذ ردت عليه في مجلسه بعدما سمعته يتبجح بتلك الأبيات قائلة: (صدق الله ورسوله يا يزيد { ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ

(١) بلاغات النساء لابن طيفور ص١٠

الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ أظننت يا يزيد أنّك حين أخذ(ت) علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصبحنا نساق كما يساق الأسارى أنّ بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة وأنّ هذا لعظيم خطرك فشمخت بأنفك ونظرت في عطفيك جذلان فرحاً حين رأيت الدنيا مستوسقة لك والأُمور متسقة عليك وقد أمهلت ونفست وهو قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ أمن العدل يابن الطلقاء[١] تخديرك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسول الله

---

(١) إشارة منها سلام الله عليها إلى أن آباء يزيد هم من الطلقاء الذين دخلوا الإسلام حقناً لدمائهم فكانوا يكيدون للإسلام من داخله. قال صاحب الاستيعاب في ترجمة عبد الرحمن بن غنم الأشعري ج١ص٣٥٧: (جاهلي كان مسلماً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يره ولم يفد عليه ولازم معاذ بن جبل منذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن إلى أن مات في خلافة عمر يعرف بصاحب معاذ لملازمته له وسمع من عمر بن الخطاب وكان من أفقه أهل الشام وهو الذي فقه عامة التابعين بالشام وكانت له جلالة وقدر وهو الذي عاتب أبا هريرة وأبا الدرداء بحمص إذ انصرفا من عند عليٍّ عليه السلام رسولين لمعاوية وكان مما قال لهما: عجباً منكما كيف جاز عليكما ما جئتما به تدعوان علياً أن يجعلها شورى وقد علمتما أنّه قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق وأنّ من رضيه خير ممن كرهه ومن بايعه خير ←

صلى الله عليه وآله قد هتكت ستورهن وأصحلت صوهن مكتئبات تحدى بهن الأباعر ويحدو بهن الأعادي من بلد إلى بلد لا يراقبن ولا يؤوين يتشوفهن القريب والبعيد ليس معهن ولي من رجالهن وكيف يستبطأ في بغضتنا من نظر إلينا بالشنق والشنآن والإحن والأضغان أتقول ليت أشياخي ببدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم وأنت تنكث ثنايا أبي عبد الله بمخصرتك ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإهراقك دماء ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ولتردن على الله وشيكاً موردهم ولتودن أنّك عميت وبكمت وأنّك لم تقل فاستهلوا وأهلوا فرحاً اللهم خذ بحقنا وانتقم لنا ممن ظلمنا والله ما فريت إلا جلدك ولا حززت إلا في لحمك وسترد على رسول الله صلى الله عليه وآله برغمك وعترته ولحمته في حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم ملمومين من الشعث وهو قول الله تبارك وتعالى { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } وسيعلم من بوأك ومكنك من رقاب المؤمنين إذا كان الحكم الله والخصم

ممن لم يبايعه. وأي مدخل لمعاوية في الشورى وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة وهو وأبوه من رؤوس الأحزاب فندما على مسيرهما وتابا منه بين يديه).

محمداً صلى الله عليه وجوارحك شاهدة عليك فبئس للظالمين بدلاً أيكم شر مكاناً وأضعف جنداً مع أنّي والله يا عدو الله وابن عدوه استصغر قدرك واستعظم تقريعك غير أنّ العيون عبرى والصدور حرى وما يجزي ذلك أو يغني عنا وقد قتل الحسين عليه السلام وحزب الشيطان يقربنا إلى حزب السفهاء ليعطوهم أموال الله على انتهاك محارم الله فهذه الأيدي تنطف من دمائنا وهذه الأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات فلئن اتخذتنا مغنماً لتتخذن مغرماً حين لا تجد إلاّ ما قدمت يداك تستصرخ يابن مرجانة ويستصرخ بك وتتعاوى وأتباعك عند الميزان وقد وجدت أفضل زاد زودك معاوية قتلك ذرية محمد صلى الله عليه فوالله ما تقيت غير الله ولا شكواي إلا إلى الله فكيد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا يرحض عنك عار ما أتيت إلينا أبداً والحمد لله الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنان فأوجب لهم الجنة أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات وأن يوجب لهم المزيد من فضله فإنّه ولي قدير)[1].

---

(١) المصدر السابق نفسه.



المعتضد العباسي وابن زيدون الأندلسي... يشهدان على يزيد

وأمر أبيات ابن الزبعرى التي تمثل بها يزيد من المسلّمات التي تناقلها الرواة وتعاطاها الشعراء والخطباء على مر العصور ومختلف الأقطار.

فعلى سبيل المثال ذكر هذه القضية الخليفة العباسي المعتضد بالله لما عزم على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر وأمر بإنشاء كتاب بذلك يقرأ على الناس فخوفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامة وأنّه لا يأمن أن تكون فتنة فلم يلتفت إلى ذلك من قوله.

ثم إنّ المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية فأُخرج له من الديوان فأخذ من جوامعه نسخة هذا الكتاب وذكر أنّها نسخة الكتاب الذي أنشئ للمعتضد بالله:

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله العلي العظيم الحليم الحكيم

العزيز الرحيم المنفرد بالوحدانية الباهر بقدرته الخالق بمشيئته وحكمته...

إلى أن يقول: ومنه إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير صاحب الديوك والفهود والقرود وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرهبة وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه ويعاين سكرانه وفجوره وكفره فلما تمكن منه ما مكنه منه ووطأه له وعصى الله ورسوله فيه طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين فأوقع بأهل الحرة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش مما ارتكب من الصالحين فيها وشفى بذلك عبد نفسه وغليله وظن أن قد انتقم من أولياء الله وبلغ النوى لأعداء الله فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتكم	وعدلنا ميل بدر فاعتدل
فأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تسل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل

هذا هو المروق من الدين وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله ثم

من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن عليٍّ وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل وشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة اجتراءً على الله وكفراً بدينه وعداوة لرسوله ومجاهدة لعترته واستهانة بحرمته فكأنّما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفار أهل الترك والديلم لا يخاف من الله نقمة ولا يرقب منه سطوة فبتر الله عمره واجتث أصله وفرعه وسلبه ما تحت يده وأعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته هذا إلى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه واتخاذ مال الله دولاً بينهم وهدم بيته واستحلال حرامه ونصبهم المجانيق عليه ورميهم إياه بالنيران لا يألون له إحراقاً وإخراباً ولما حرم الله منه استباحة وانتهاكاً ولمن لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً ولمن آمنه الله به إخافة وترشيداً حتى إذا حقت عليهم كلمة العذاب واستحقوا من الله الانتقام وملؤا الأرض بالجور والعدوان وعموا عباد الله بالظلم والاقتسار وحلت عليهم السخطة ونزلت بهم من الله السطوة أتاح الله لهم من عترة نبيه وأهل وراثته من استخلصهم منهم بخلافته مثل ما اتاح الله من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين فسفك الله بهم دماءهم

مرتدين كما سفك بآبائهم دماء آباء الكفرة المشركين وقطع الله دابر القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين ومكن الله المستضعفين ورد الله الحق إلى أهله المستحقين كما قال جل شأنه { وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ } واعلموا أيها الناس أنّ الله عزّ وجلّ إنّما أمر ليطاع ومثل ليتمثل وحكم ليقبل وألزم الأخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وآله ليتبع، وإنّ كثيراً ممن ضل فالتوى وانتقل من أهل الجهالة والسفاه ممن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وقد قال الله عزّ وجلّ { قَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ } فانتهوا معاشر الناس عمّا يسخط الله عليكم وراجعوا ما يرضيه عنكم وارضوا من الله بما اختار لكم والزموا ما أمركم به وجانبوا ما نهاكم عنه واتبعوا الصراط المستقيم والحجة البينة والسبل الواضحة، وأهل بيت الرحمة الذين هداكم الله بهم بديئاً واستنقذكم بهم من الجور والعدوان أخيراً وأصاركم إلى الخفض والأمن والعزِّ بدولتهم وشملكم الصلاح في أديانكم ومعايشكم في أيامهم والعنوا من لعنه الله ورسوله وفارقوا من لا تنالون القربة من الله إلا بمفارقته اللهم العن أبا سفيان بن حرب ومعاوية ابنه ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده اللهم العن أئمة الكفر وقادة الضلالة وأعداء الدين ومجاهدي الرسول ومغيري الأحكام ومبدلي الكتاب وسفاكي الدم

الحرام اللهم إنا نتبرأ إليك من موالاة أعدائك ومن الإغماض لأهل معصيتك كما قلت { لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } يا أيها الناس اعرفوا الحق تعرفوا أهله وتأملوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها فإنّه إنّما يبين عن الناس أعمالهم ويلحقهم بالضلال والصلاح آباؤهم فلا تأخذكم في الله لومة لائم ولا يميلن بكم عن دين الله استهواء من يستهويكم وكيد من يكيدكم وطاعة من تخرجكم طاعته إلى معصية ربكم أيها الناس بنا هداكم الله ونحن المستحفظون فيكم أمر الله ونحن ورثة رسول الله والقائمون بدين الله فقفوا عند ما نقفكم عليه وأنفذوا لما نأمركم به فإنّكم ما أطعتم خلفاء الله وأئمة الهدى على سبيل الإيمان والتقوى أمير المؤمنين يستعصم الله لكم ويسأله توفيقكم ويرغب إلى الله في هدايتكم لرشدكم وفي حفظ دينه عليكم حتى تلقوه به مستحقين طاعته مستحقين لرحمته والله حسب أمير المؤمنين فيكم وعليه توكله وبالله على ما قلده من أموركم استعانته ولا حول لأمير المؤمنين ولا قوة إلا بالله والسلام عليكم وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة ٢٨٤ هجرية[١].

ومثال آخر في رسالة أرسلها ابن زيدون الشاعر الأندلسي إلى ابن

---

(١) تاريخ الطبري ج٨ص١٨٢ /تاريخ الرسل والملوك ج٦ص١٧

جهور أحد ملوك الأندلس، ضمنها بعض مخازي وكفريات يزيد، منها:
(حنانيك بلغ السيل الزبى، ونالني ما حسبي به وكفى، وما أراني إلا لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت، وقال لي نوح ﴿ ارْكَبْ مَعَنَا ﴾ فقلت ﴿ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ وأمرت ببناء الصرح لعلي أطّلع إلى إله موسى، وعكفت على العجل، واعتديت في السبت، وتعاطيت فعقرت الناقة، وشربت من النهر الذي ابتلي به جنود طالوت، وقدّمت الفيل لأبرهة، وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة، وتأولت في بيعة العقبة، ونفرت إلى العير ببدر، واعتزلت بثلث الناس يوم أحد، وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة، وأنفت من إمارة أُسامة، وزعمت أنّ إمارة أبي بكر فلتة، ورويّت رمحي من كتيبة خالد ومزقت الأديم الذي بارك الله فيه، وضحيت بالأشمط الذي عنوان السجود به وبذلت لقطام:

ثلاثة آلاف وعبداً وقينة　　　وضرب عليٍّ بالحسام المسمم

وكتبت إلى عمر بن سعد أن جعجع بالحسين، وتمثلت عندما بلغني من وقعة الحرة:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا　　　جزع الخزرج من وقع الأسل

ورجمت الكعبة، وصلبت العائذ بها على الثنية، لكان فيما جرى

عليّ ما يحتمل أن يسمى نكالاً ويدعى ولو على المجاز عقاباً:

وحسبك من حادثٍ بامرئٍ ترى حاسديه له راحمينا[١]

وهكذا فالقضية أشهر من أن تنكر، وأما ما يحاوله البعض ممن انحرف هواهم عن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يزيد إلا من التمحلات، كقول ابن كثير في تاريخه: (وأما ما يوردونه عنه من الشعر في ذلك واستشهاده بشعر ابن الزبعرى في وقعة أُحد التي يقول فيها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حلت بفنائهم بركها واستحر القتل في عبد الأشل

قد قتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

وقد زاد بعض الروافض فيها فقال:

لعبت هاشم بالملك فلا ملك جاء ولا وحي نزل

فهذا إن قاله يزيد بن معاوية، فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين، وإن لم يكن قاله، فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه)[٢].

إنّ من يسمع أو يقرأ هذا الكلام لا يسعه القول إلا أنّه كلام لا

---

(١) الوافي بالوفيات ج٢ص٤٠٤

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج٨ص٢٤٥

معنى له ولا يغير من جريمة يزيد وبشاعتها شيئاً بل يضيف إلى قائمة من يشارك يزيد في الجريمة ويتحمل أوزارها أسماء أخرى.

ولعل ما ذكر في ص ١٦١ من كتاب (سير أعلام النبلاء) للذهبي يرشدنا إلى السر في منع المانعين من لعن يزيد: (حكى ابن تيمية شيخنا قال: قيل: إنّ الخليفة الناصر لما بلغه نهي عبد المغيث[١] عن سب يزيد، تنكر، وقصده، وسأله عن ذلك، فتباله عنه، وقال: يا هذا إنّما قصدت كف الألسنة عن لعن الخلفاء، وإلا فلو فتحنا هذا لكان خليفة الوقت

(١) ناصبي ترجم له الزركلي في سير أعلام النبلاء ج٢١ص ١٦٠ قائلاً: عبد المغيث ابن زهير بن زهير بن علوي، الشيخ الإمام المحدث، الزاهد الصالح، المتبع، بقية السلف، أبو العز بن أبي حرب، البغدادي الحربي.ولد سنة خمس مئة وعني بالآثار، وقرأ الكتب، ونسخ، وجمع وصنف، مع الورع والدين والصدق والتمسك بالسنن، والوقع في النفوس والجلالة.سمع أبا القاسم بن الحصين، وأبا العز بن كادش، وهبة الله بن الطبر، وأبا غالب ابن البناء، وقاضي المارستان، وعدداً كثيراً. وروى الكثير، وأفاد الطلبة.حدث عنه: الشيخ الموفق، والحافظ عبد الغني، وحمد بن صديق، والبهاء عبد الرحمان، والحافظ محمد بن الدبيثي، وطائفة. وقد ألف جزءاً في فضائل يزيد أتى فيه بعجائب وأوابد، لو لم يؤلفه، لكان خيراً، وعمله رداً على ابن الجوزي، ووقع بينهما عداوة. ولعبد المغيث غلطات تدل على قلة علمه. فاسمع لهذا الهذيان واعجب من هؤلاء الذين يتلاعبون بالحقائق ويزيفون التاريخ ألا لعنة الله على الظالمين.

أحق باللعن، لأنّه يفعل كذا، ويفعل كذا، وجعل يعدد خطاياه، قال: يا شيخ ادع لي، وقام)[١].

وجرت بين عبد المغيث هذا وبين صاحب المنتظم - يعني: أبا الفرج بن الجوزي - نفرة كان سببها الطعن على يزيد بن معاوية. كان عبد المغيث يمنع من سبه. وصنف في ذلك كتابًا، وأسمعه. وصنف ابن الجوزي كتابًا سماه "الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد". ومات عبد المغيث وهما متهاجران[٢].

وفي ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب: (وسئل- الحافظ عبد الغني- عن يزيد بن معاوية؟ فأجاب: خلافته صحيحة.... إلى أن يقول: وإنّما يمنع من التعرض للوقوع فيه؛ خوفاً من التسلق إلى أبيه، وسدّاً لباب الفتنة)[٣].

(١) سير أعلام النبلاء ج٢١ص ١٦١.

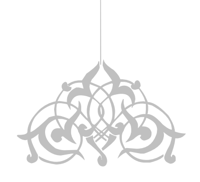
(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ج١ص٤٥.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ج١ص١٩٦.



الفصل الرابع

مصير يزيد ... وعاقبة السوء



قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1].

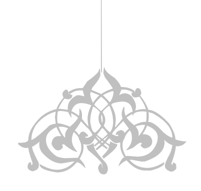
وعلى قدر الجريمة يكون العقاب، ولقد بلغت جرائم يزيد من البشاعة حداً لم يبلغه النمرود ولا الفراعنة من طغاة الأزمان الغابرة، ولم يصل إليه حكام الجور الذين حكموا شعوبهم بالنار والحديد في كل زمان بعده، فلا بد أن يكون العقاب بمستوى الجريمة.

ولذلك اقتضت الحكمة والعدالة الإلهيتين أن تعجل العقوبة لطاغية الشام في الدنيا، وأن يهدم بنيانه الذي بناه على جرف هارٍ من سفك دماء الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه، وإباحة المدينة ثلاثة

(١) سورة الروم/ ٩-١٠.

أيامٍ وما حصل أثناء ذلك من فجائع وطامات ثم حصار مكة وحرق بيت الله وضربه بالمنجنيق، ولعذاب الآخرة أخزى وأشد.

لقد أراد يزيد بجرائمه تلك أن يوطد ملكه ويشيد دولته، ويثبت سلطانه، فأذله الله، بقهره وسلب ملكه وسلطانه، فلم تدم أيام ملكه أكثر من ثلاث سنوات وتسعة أشهر، هلك بعدها وبتر عمره ولم يبلغ من عمره المشؤوم الأربعين، وكان هلاكه بعد ضرب الكعبة بالمنجنيق وحرقها بإحدى عشرة ليلة فذاق وبال أمره وذهب بسوء فعله.



نهاية الطاغية الغامضة

هلـك يزيـد في الرابـع عـشر مـن ربيـع الأول مـن الـسنة الرابعـة والستين للهجرة فعن الطبري[1]: (وفيها هلك يزيد بن معاويـة، وكانـت وفاته بقرية من قرى حمص يقـال لها حـوارين مـن أرض الـشام، لأربـع عشرة ليلةً خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثـين سـنةً في قـول بعـضهم). ولا يعـرف الـسبب في هلاكـه ولا الـسبب في تواجده حين دهمه الموت في هذا المكان، والمؤرخون ساكتون عن ذلك.

ثم بويع لابنه معاوية الملقب بـأبي يزيـد وأبي ليلـى بالخلافـة، لكنـه رفضها، وفضل الاعتزال منددًا بما فعـل أبـوه وجـده مـن أُمـور يرفـضها الدين والناموس البشري.

قال المسعودي: وَمَلَـكَ معاويـة بـن يزيـد بـن معاويـة بعـد أبيـه،

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٣ص٣١٠.

فكانت أيامه أربعين يوماً إلى أن مات، وقيل: شهرين، وقيل غير ذلك، وكان يكنى بأبي يزيد، وكني حين ولي الخلافة بأبي ليلى، وكانت هذه الكنية للمستضعف من العرب، وفيه يقول الشاعر:

إني أرى فِتْنَةً هَاجَتْ مَرَاجِلُه   والملكُ بعد أبي لَيْلَى لمن غلبَا[1]

وقد خطب خطبة نقلها بعض المؤرخين وتغاضى عنها البعض الآخر، جاء فيها: (إنّا بلينا بكم وابتليتم بنا وإنّ جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى به وأحق فركب منه ما تعلمون حتى صار مرهناً بعمله ثم تقلده أبي ولقد كان غير خليق به فركب ردعه واستحسن خطأه ولا أحب أن ألقى الله بتبعاتكم فشأنكم وأمركم ولوه من شئتم فوالله لئن كانت الخلافة مغنماً لقد أصبنا منها حظاً وإن كانت شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها، ثم نزل وأغلق الباب في وجهه وتخلى للعبادة، حتى مات بالطاعون في سنة أربع وستين عن اثنتي وعشرين سنة، وكانت ولايته عشرين يوماً ويقال أربعين يوماً ويقال ثلاثة أشهر، وكان قيل فيه:

تلقفها يزيد عن أبيه   فخذها يا معاوي عن يزيد[2]

---

(١) مروج الذهب ج١ص٣٧٩

(٢) البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي ج١ص٣٣٣

وفي بعض المصادر: (وقيل: إنّ معاوية هذا لما أراد خلع نفسه جمع الناس وقال: أيها الناس، ضعفت عن أمركم فاختاروا من أحببتم؛ فقالوا: ولِّ أخاك خالداً. فقال: والله ما ذقت حلاوة خلافتكم فلا أتقلد وزرها. ثم صعد المنبر فقال: أيها الناس، إنّ جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو علي بن أبي طالب، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياه؛ ثم قلد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه وأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، وصار في قبره رهيناً بذنوبه، وأسيراً بجرمه؛ ثم بكى حتى جرت دموعه على خديه ثم قال: إنّ من أعظم الأُمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبؤس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وأباح الحرم وخرب الكعبة، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم، فشأنكم أمركم؛ والله لئن كانت الدنيا خيراً فلقد نلنا منها حظاً ولئن كانت شراً فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها؛ ألا فليصل بالناس حسان بن مالك، وشاوروا في خلافتكم رحمكم الله. ثم دخل منزله وتغيب حتى مات في سنته بعد أيام[1].

وذكر العصامي في نجومه العوالي: (قال العلامة ابن السبكي: إنّ

---

(١) النجوم الزاهرة لابن تغريبردي ج١ص٦٥

معاوية بن يزيد بن معاوية لما خلع نفسه، صعد المنبر، فجلس طويلاً، ثم حمد اللّه وأثنى عليه، بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء، ثم ذكر النبي صلى الله عليه وآله بأحسن ما يذكر به، ثم قال: أيها الناس، ما أنا بالراغب في الائتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم، وإنّي أعلم أنّكم تكرهونا - أيضاً - لأنا بلينا بكم وبليتم بنا، ألا إنّ جدي معاوية نازع هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وعظيم فضله وسابقته، أعظم المهاجرين قدرًا، وأشجعهم قلبَاً، وأكثرهم علماً، وأولهم إيماناً، وأشرفهم منزلة، وأقدمهم صحبة، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وصهره، وأخوه، زوجه ابنته – عليها السلام - وجعله لها بعلاً، باختياره لها، وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيدَيْ شباب أهل الجنة، وأفضل هذه الأُمّة، تربية الرسول، وابنا فاطمة البتول - عليها السلام - حتى انتظمت لجدي معاوية الأُمور، فلما جاءه القدر المحتوم، واخترمته أيدي المنون، بقي مرتهناً بعمله، فريداً في قبره، ووجد ما قدمت يداه، فرأى ما ارتكبه واعتداه.

ثم انتقلت الخلافة في أبي يزيد، فتقلد أمركم لهوى كان أبوه هويه فيه، ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه غَيْرَ خليق بالخلافة على أُمَّة محمد صلى الله عليه وآله، فركب هواه، واستحسن

خطاه، وأقدم على ما قدم من جرأته على اللّه تعالى، وبغيه على من استحل حرمته من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلتْ مدته، وانقطع أثره، وضاجع عمله، وصار حليف حفرته، رهين خطيئته، وبقيت أوزاره وتبعاته، فهل عوقب بإساءته وجوزي بعمله؟! وذلك ظني. ثم اختنقته العبرة، فبكى طوِيلاً، وعلا نحيبه، وحمد اللّه، ثم قال: وصرت أنا ثالث القوم، والساخطُ علَيِّ أكثر من الراضي، وما كنت لأتحمل آثامكم، ولا يراني اللّه جلت قدرته متقلداً أوزاركم، وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم وأمركم، فخذوه، ومن رضيتم به عليكم فولوه، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم، والسلام.

فقال له مروان بن الحكم، وكان تحت المنبر: أسنة عمرية يا أبا ليلى؟ فقال: اغدُ عني، أعن ديني تخدعوني؟ فواللّه ما ذقت حلاوة خلافتكم، فأتجرع مرارتها، ائتني برجال مثل رجال عمر، على أنّه كان حين جعلها شورى وصرفها عمن لا يشك في عدالته ظلوماً. واللّه، لئن كانت الخلافة مغنمَاً، لقد نال أبي معها مغرماً ومأثَمَاً، ولئن كانت شراً، فحسبه منها ما أصابه.

ثم نزل، فدخل عليه أقاربه وأُمُّه، فوجدوه يبكي، فقالت له أُمُّه: ليتك كنت حيضة، ولم أسمع بخبرك، فقال: وعدت والله ذلك، ثم قال:

ويلي إن لم يرحمني ربي)[١].

وإنّ ما قاله معاوية هذا غني عن الشرح وبليغ في وضع النقاط على الحروف وتشخيص مكمن الخلل، ولا يحتاج إلا إلى شجاعة في قبول الحقيقة المرة التي تفضح كل من شارك عودة الجاهلية الأولى بعد أن قضى عليها المسلمون الأوائل بقيادة رسول الله صلى الله عليه وآله، على أيدي من كانوا يكيدون للإسلام ويتربصون به الدوائر حتى دلّهم الشيطان على السبيل لهدمه فدخلوا للإسلام ولم يؤمنوا به لحظة واحدة، فكان جدهم يقول للعباس بن عبد المطلب: (لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويحك إنّها النبوة. فقال: نعم إذن).[٢]

ثم ما لبث أن صرح بمكنون نفسه لما تمكن من رقاب المسلمين وبيت مالهم قائلاً: (يا بني أُميّة، تَلَقَفُوهَا تلقُفَ الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرَنَ إلى صبيانكم وراثة)[٣] وفي بعض المصادر[٤]: (تلقفوها يا بني أُميّة تلقف الكرة، لا بعث ولا نشور)

---

(١) سمط النجوم العوالي ج٢ص٩٧.

(٢) الكامل في التاريخ ج١ص٣٢٩ مغازي الواقدي ج١ص٣٣٣ المنتظم لابن الجوزي ج١ص٣٨٥ تاريخ الذهبي ج١ص٣١٢ البداية والنهاية ج٤ص٣٣٢.

(٣) مروج الذهب ج١ص٣١٠.

(٤) أخبار الدولة العباسية ج١ص٤٨.

وقد أشار إلى ذلك الخليفة العباسي المعتضد في خطبته التي خطبها في بغداد لما عزم على لعن معاوية بقوله: (ومنه ما يرويه الرواة من قوله: يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة، فما هناك جنة ولا نار).[1]

ثم إنّ أعظمهم بطناً يتبع خطى أبيه ويصرح بجحوده للدين ونبيه صلى الله عليه وآله قائلاً لمن قال له: (إنّك قد بلغت منّا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عَدْلاً وبسطت خيراً فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصَلْتَ أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، فقال: هيهات هيهات!! مَلَكَ أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فواللّه ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عَدِيٍّ، فاجتهد وشَمَّر عشر سنين، فواللّه ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجلٌ لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل وعمل به فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعلَ به، وإنّ أخا هاشم يُصْرَخُ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أنّ محمداً رسول الله، فأي عمل يبقى مع هذا؟ لا أُمَّ لك؛ والله ألا دفناً دفناً)، وإنّ المأمون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على أن أمر بالنداء على حسب ما وصفنا – من براءة الذمة ممن يذكر معاوية بخير

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٦ص١٦ المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا ج١ص١٨٧.

ويفضله على باقي الصحابة - وأنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر، فأعْظَمَ الناسُ ذلك وأكبروه، واضطربت العامة منه فأشير عليه بترك ذلك، فأعرض عما كان هَمَّ به[١].

ولّما صارت النوبة إلى جروهم يزيد فاق أسلافه وجاوز الحد بما لا مزيد عليه حتى قال:

لست من خندف إن لم انتقم ‏ ‏ ‏ ‏ من بني أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا ‏ ‏ ‏ ‏ خبر جاء ولا وحي نزل[٢]

ولا عجب أنْ تبتلى هذه الأُمّة بأمثال هؤلاء الطواغيت، بعد أن رضيت لباس الذل ثوباً لها ولم تنكر على زيغ الحكام وانحرافهم عن الإسلام ومنهجه القويم، بل ورضيت أن يرتقي منبر رسول الله أمثال هؤلاء رغم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله لهم بقتلهم، حيث ورد عنه صلى الله عليه وآله: عن أبي سعيد مرفوعاً: «إذا رأيتم فلاناً يخطب على منبري، فاقتلوه» رواه جندل بن والق، عن محمد بن بشر، فقال بدل «فلاناً»: معاوية.

وتابعه الوليد بن القاسم، عن مجالد.

---

(١) مروج الذهب ج٢ص٥٤

(٢) البداية والنهاية لابن كثيرج٨ص٢٤٥

وقال حماد وجماعة: عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد مرفوعاً: «إذا رأيتم معاوية على منبري، فاقتلوه».

وروى الحكم بن ظهير عن عاصم، عن زر عن عبدالله مرفوعاً نحوه. وجاء عن الحسن مرسلاً. وعن جابر مرفوعاً: «إذا رأيتم معاوية يخطب»[١] وقد حاول بعضهم التمويه في هذا الحديث مدعياً أنّه يقصد غير معاوية بن أبي سفيان، حيث قال الذهبي بعد أن أخرج الحديث: (ويروى عن أبي بكر بن أبي داود قال: هو معاوية بن تابوه رأس المنافقين، حلف أن يتغوط فوق المنبر)[٢].

وإنّي لأعجب من أمثال الذهبي هذا كابن منظور الذي يدافع عن معاوية بكل ما يستطيع مع أنّه يروي ما يكشف عن باطن الخليفة الأسود الذي يضمر العداء للرعية وسوء الظن بهم، فقد روى عن صالح بن كيسان: (أنّ معاوية قدم المدينة أول حجة حجها بعد اجتماع الناس عليه، فلقيه الحسن والحسين ورجال من قريش، فتوجه إلى دار عثمان بن عفان، فلما دنا إلى باب الدار صاحت عائشة ابنة عثمان وندبت أباها

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٣ص١٤٩، ميزان الاعتدال ج١ص٥٧٢، الكامل لابن عدي ج٢ص٢٠٩ ومختصر تاريخ دمشق ج٧ ص٣٤٠ تاريخ الإسلام للذهبي ج٢ص٤٧.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج٢ص٤٧.

فقال معاوية لمن معه: انصرفوا إلى منازلكم، فإنّ لي حاجة في هذه الدار. فانصرفوا ودخل فسكن عائشة وأمرها بالكف وقال لها: يا ابنة أخي، إنّ الناس أعطونا سلطاناً فأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، فبعناهم هذا وباعونا هذا، فإن أعطيناهم غير ما اشتروا شحوا على حقهم، ومع كل إنسان منهم شيعة، وهو يرى مكان شيعتهم، فإن نكثنا به نكثوا بنا، ثم لا ندري أتكون لنا الدائرة أم علينا، وأن تكوني ابنة عمر[1] أمير المؤمنين خير من أن تكوني أَمَةً من إماء المسلمين. ونعم الخلف أنا لك بعد أبيك والسلام.

ثم ذكر حديث النبي صلى الله عليه وآله: عن أبي سعيد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إذا رأيتم معاوية على هذه الأعواد فاقتلوه». فقام إليه رجل من الأنصار وهو يخطب بالسيف، فقال أبو سعيد: ما تصنع؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه». فقال له أبو سعيد: إنا قد سمعنا ما سمعت، ولكنا نكره أن يسل السيف على عهد عمر حتى نستأمره. فكتبوا إلى عمر في ذلك، فجاء موته قبل أن يجيء جوابه.

وعنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا رأيتم معاوية

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ج٧ص٣٤٠ ولعل الصحيح (ابنة عثمان)

على منبري فاقتلوه[١].

وقد حاول ابن كثير إخراج سلفه من هذا الحرج قائلاً: (وهذا الحديث كذب بلا شك، ولو كان صحيحاً لبادر الصحابة إلى فعل ذلك، لأنّهم كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم)[٢]، مع أنّنا رأينا فيما سبق مدى الترهيب بالقتل الذي مارسته الدولة والترغيب بالمال والجاه لكسب تأييد الأصحاب وغيرهم وسياسة كمّ الأفواه المعروفة عنهم، ومع ذلك فقد تسرب عن بعض الصحابة في لحظات من الشجاعة ما يوضح الحقائق فقد روى نصر بن مزاحم في كتابه "وقعة صفين" قال: (عن بليد بن سليمان، حدثني الأعمش، عن علي بن الأقمر قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا ثم قلنا: لو مررنا برجل قد شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعاينه.

فأتينا عبد الله بن عمر فقلنا: يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، حدثنا ما شهدت ورأيت.

قال: إنّ هذا أرسل إلي - يعني معاوية - فقال: لئن بلغني أنّك تحدث لأضربنّ عنقك.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) البداية والنهاية ج٨ ص١٤١.

فجثوت على ركبتي بين يديه ثم قلت: وددت أنّ أحدّ سيفٍ في جندك على عنقي. فقال: والله ما كنت لأُقاتلك ولا أقتلك.

وأيم الله ما يمنعني أن أُحدثكم ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيه.

رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أرسل إليه يدعوه - وكان يكتب بين يديه - فجاء الرسول فقال: هو يأكل.

فقال: «لا أشبع الله بطنه» فهل ترونه يشبع؟ قال: وخرج من فج فنظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه، أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «اللهم العن القائد والسائق والراكب».

قلنا: أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم، وإلاّ فصمتا أُذناي، كما عميتا عيناي[1].

وروي أيضاً بسنده عن عبد العزيز بن الخطاب، عن صالح بن أبي الأسود، عن إسماعيل، عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم معاوية على منبري يخطب فاقتلوه»[2].

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ج١ص٢٢١.

(٢) المصدر السابق نفسه.

ثم آلت الأُمور بعد آل أبي سفيان إلى آل مروان الذين نهجوا طريقة من سبقهم من بني أُميّة في الظلم والفجور والخمور التي تزخر بها كتب التاريخ الإسلامي. وعلى الرغم من كل ما سجله المؤرخون من أفعال هؤلاء الخلفاء التي خالفت الشريعة جملة وتفصيلاً، يظهر بعد ذلك من يرى أنّهم هم الخلفاء الذين قصدهم رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث الصحيح «الخلفاء بعدي اثنا عشر كلهم من قريش»[1] وهم حملة لواء الإسلام إلى العالم، حيث يقول محمد بن عبد الوهاب في كتابه (مختصر سيرة الرسول): (وتوفي هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة. ثم تولى بعده ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك فبقي سنة أو أقل أو أكثر. ثم قتل سنة ست وعشرين ومائة. ثم تولى بعده ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك. فبقي خمسة أشهر وتوفي في ذي القعدة - أو في أول ذي الحجة - من سنة ست وعشرين ومائة.

وبعده انقضت الخلافة التامة. ولم تجتمع الأُمّة بعده على إمام واحد إلى اليوم، وهو آخر الخلفاء الاثني عشر الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وآله في الحديث الصحيح: «لا يزال أمر هذه الأُمّة عزيزاً

(١) صحيح مسلم ج٩ص ٣٣٣،٣٣٤،٣٣٦،٣٣٧ سنن أبي داوود ج١١ص٣٥١،٣٥٢ مسند احمد من حديث جابر بن سمرة وغيرها من الصحاح

ينصرون على من ناوأهم إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش»[١].

فأحواض الخمر التي يشرب منها الخليفة حتى يبين النقص فيها والليالي الحمراء مع الجواري والغلمان وصلاة الخليفة بالمسلمين مخموراً وإرسال جاريته الماجنة حبابة[٢] لتصلي بهم بدلاً عنه وتمزيق كتاب الله وجعله غرضاً للنشاب[٣]، وغيرها من المخازي المضحكة المبكية هي التي تمثل خلافة رسول الله عند هذا المتفيقه الذي يعد إماماً عند الوهابية وإليه ينتسبون، وإن عشت أراك الدهر عجباً.

ختاماً وبعد أنْ تم ما أردنا ذكره في هذا الكتاب، نعود فنؤكد على ضرورة قراءة التاريخ بعين التمحيص والدراسة لا بعين التلقي والقبول فحسب، فالكثير مما دوِّن في كتب التاريخ إنّما دوِّن تحت رعاية وإشراف الحكام والطواغيت الذين لا يروق لهم ذكر الحقائق فيقنِّعون الحقيقة بقناع سياساتهم، ويلبسون الأكاذيب ثوب الحقيقة مراهنين على سذاجة أتباعهم الذين ينعقون مع كل ناعق ويميلون مع كل ريح، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

(١) مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وآله لمحمد بن عبد الوهاب/ص ٤٩٦.

(٢) الكامل في التاريخ ج٢ ص٣٩١.

(٣) الكامل في التاريخ ج٢ ص٤٤٦ المنتظم ج٢ص٤١٥ تاريخ ابن خلدون ج٣ص١٠٦.

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [١]

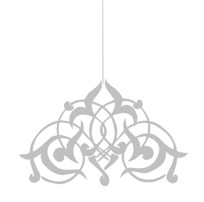
{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } [٢].

ربنا أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، والباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، وأمتنا على كلمة التوحيد، ولا تخرجنا من الدنيا حتى ترضى عنا، ولا تجعلنا من أولياء الطاغوت الذين يخرجون عباد الله من النور إلى الظلمات، آمين رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أبي القاسم محمد وآله الطاهرين.

---

(١) التوبة ٣٢

(٢) الصف ٧-٩



فهرست المصادر

١- القرآن الكريم

(أ)

٢- الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي

٣-الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم

٤- أخبار الدولة العباسية

٥-الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر

٦- أسد الغابة لابن الأثير

٧-الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر

٨-الإكمال لابن ماكولا

(ب)

٩-البداية والنهاية لابن كثير

١٠- البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي

١١- بحر الدم ليوسف بن المبرد

١٢- بلاغات النساء لابن طيفور

(ت)

١٣- تاريخ الخلفاء للسيوطي

١٤- تاريخ الطبري للإمام محمد بن جرير الطبري

١٥- تاريخ دمشق لابن عساكر

١٦- تاريخ الإسلام للذهبي

١٧- تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم) لمؤلفه أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ]

١٨- تاريخ اليعقوبي

١٩- تاريخ أبي الفدا

٢٠- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة للإمام الحافظ الناقد العلامة الشيخ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢ هـ) الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان

٢١- تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الأمم والملوك للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

(ج)

٢٢- جوامع السيرة لابن حزم

(د)

٢٣- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني

٢٤- الدر المنثور في التأويل بالمأثور للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي

(ذ)

٢٥- ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب

(ر)

٢٦- رأس الحسين لابن تيمية

٢٧- الرد على المتعصب العنيد لابن الجوزي

٢٨- الرياض النضرة للمحب الطبري

(س)

٢٩- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي

٣٠- سنن الترمذي

٣١- سنن ابن ماجة

٣٢- سنن البيهقي

٣٣- سنن النسائي

٣٤- سير أعلام النبلاء للزركلي

(ص)

٣٥- صحيح البخاري

٣٦- صحيح ابن حبان

٣٧- صحيح مسلم

(ط)

٣٨- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري(طبقات ابن سعد)

(ع)

٣٩- العواصم من القواصم للقاضي ابن العربي

٤٠- العبر في خبر من غبر للذهبي

٤١- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي

(ف)

٤٢- الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي

(ك)

٤٣- الكامل في التاريخ لابن الأثير

(ل)

٤٤- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني

(م)

٤٥- المنتظم لابن الجوزي

٤٦- ميزان الاعتدال للذهبي

٤٧- مسند أحمد بن حنبل

٤٨- المعجم الكبير للطبراني

٤٩- مصنف ابن أبي شيبة

٥٠- مقدمة ابن خلدون

٥١- منهاج السنة لابن تيمية

٥٢- مروج الذهب للمسعودي

٥٣- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور

٥٤- مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني

٥٥- مغازي الواقدي

٥٦- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وآله لمحمد بن عبد الوهاب

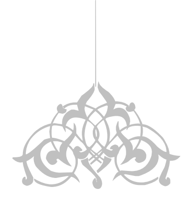
(ن)

٥٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغريبردي

(و)

٥٨- الوافي بالوفيات للصفدي

٥٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لمؤلفه أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان



المحتويات

الفصل الثاني: واقعة الحرة ... انتهاك الحرمات

الفصل الثالث: ضحايا الحرة ... موكب الشهادة

الفصل الرابع: مصير يزيد ... وعاقبة السوء